

روايات مصرجة الحبيب

5

# تجربة محرومة

سافاري

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)  
Hany3H

## مقدمة

( سافارى ) مصطلح غربى تم تحريفه عن كلمة ( سفرية ) العربية .. وحين يتحدثون عن الـ ( سافارى ) فهم يتحدثون عن رحلات صيد الوحوش فى أدغال ( إفريقيا ) ..

لكن وحدة ( سافارى ) التى سنقابلها هنا كانت تصطاد المرض فى القارة السوداء .. ووسط اضطرابات سياسية لا تنتهى .. وبينه معادية .. وأهل متشككين .. بطلنا الذى سنقبله دوماً ، ونألفه ، ونتعلم أن نحبه هو د . ( علاء عبد العظيم ) .. شاب مصرى ككل الشباب .. اختار أن يبحث عن ذاته بعيداً وسط أدغال ( الكامبيون ) ، وفى بيئة غريبة وأمراض أعرب وأخطار لا تنتهى فى كل دقيقة ..

وفى هذه الروايات نقرأ مذكرات د . ( علاء ) .. نعيش معه فى ذلك العالم العجيب الذى لم تنجح الحضارة فى تبديل معالمه ..

سنلقى الكثير من الفيروسات القاتلة .. والسحرة المجائنين .. وأكلة لحوم البشر .. والمرتزقة الذين

لا يمزحون .. وسارقي الأعضاء البشرية .. والعلماء  
المخابيل ..

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيينا الشاب كي  
يظل حيا .. وكى يستطيع فى الوقت ذاته أن يظل  
طبييا ..

تعالوا نلحق بوحدة (سافارى) فى (الكاميرون) ..  
تعالوا ندخل الأدغال ونجوب (السافانا) ونتسلىق  
البراكين ..

تعالوا نواجه المرض مع فريق (سافارى) ..

★ ★ ★

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)  
Hany3H

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)

## ١- بداية قصة جديدة ..

لو كانت هذه قصة كلاسيّة قديمة لبداؤها بعبارة :  
« في ذات صباح مشرق نهض أبطالنا والأمل يملأ  
أعطفهم ، وما كانوا يعلمون ما هم مقبلون عليه .. »  
ولو كانت قصة تدعى الحداثة لبداؤها بعبارة :  
« إنه الصباح .. يوم جديد يعلن عن مولده في  
( سافاري ) .. وأزمة جديدة تتحرش .. »  
ربما كنا سنبدأ القصة قائلين : « فرغ ( علاء )  
من إفطاره ، واستعد كي يمارس عمله في ( سافاري ) ،  
غير عالم بما ينتظره من أخطار .. »  
لكننا نبحث عن التجديد .. نبحث عن كل ما هو  
غريب وغير ممل .. لهذا لن نبدأ القصة بأية عبارة  
تمهيدية ..

سنبدأها الآن !

★ ★ ★

من بين الوجوه الجديدة فى ( سافارى ) ظهر لنا  
وجه يدعى صاحبه ( فرانسوا دوبون ) .. والاسم  
يُوحى بفرنسيته ، لكنه فى الواقع بلجيكى ..

هو وجه جديد .. هذا حق .. ويسرنى هذا ، لأنه  
جعلنى أكف عن أن أظلَ جديداً ؛ فمنذ جئت إلى  
( سافارى ) واسمى المُعتمد هو : ( الطبيب الجديد ) ،  
وبدا أنتى سابقى هكذا للأبد .

ثم ظهر التونسى ( بسام ) .. وطبيب يوغوسلافى  
لا أذكر اسمه ، لكنه ينتهى كالعادة بـ ( فيتش ) ..  
ثم جاء هذا الـ ( دوبون ) ..

كنت أفضل ألا أبدأ القصة بالوصف ؛ لكنى مضطر  
لهذا ما دام ( دوبون ) هو بطل قصتنا ، ولا مفر من  
أن ترافقه نحو مائة ونيف من الصفحات ..

إنه أصلع الرأس حليق الوجه ، تعطيك صلته  
وبشرته الملساء انطباعاً قوياً بالنظافة ، كأنما خرج من  
الحمام من فوره .. ممتلىء قليلاً ، له عينان رماديتان  
صافيتان كسماء يوم صيفى ..

لكن له عادة غير مريحة ، هى عادة الحملقة ..  
الحملقة حين لا تنظر له ..

وهكذا تنهك أنت في الكلام مع صديق ثالث ،  
وتستدير نحوه صدفة لتجده يرمقك باهتمام ، كأنك  
حيوان غريب ، ثم تلتقى العينان فيبتسم ابتسامة  
مشجعة - أو يتظاهر بأنها مشجعة - وينظر في اتجاه  
آخر .. هذا ديدنه الدائم ، وقد لاحظ كثيرون في  
( سافاري ) ذلك .

إنها عادة سيئة - والحق يقال - وتوحى دائماً بأنه  
يظهر عكس ما يبطن ، أو هو يتظاهر باللطف بينما  
يسخر منك في سره ..

لكن تعلمت كلما رأيته أن أحملق في وجهه بثبات  
ووقاحة طيلة الوقت ، فكلما رفع عينيه نحوى اصطدم  
بعيني الثاقبة الثابتة المتحدية كأنها صفة على وجهه ،  
من ثم يهرب بعينه بعيداً ..

هذا هو كل ما يمكن قوله عن ( فرانسوا دوبون ) ..  
هل نسيت شيئاً ؟

آه .. نسيت سنه ومهنته وحالته الاجتماعية ..  
يا للتفاصيل !

( دوبون ) في الخامسة والأربعين من عمره ،  
حاصل على الدكتوراه في الأمراض العصبية ، كما أنه

مهتم بفسولوجيا الجهاز العصبى .. عبقرى حاسبات  
آلية بشهادة من يفهمون هذه الأمور .. متزوج لكن  
امراته ليست معه هنا .. هل نسيت شيئاً آخر ؟  
دوره فى القصة ؟ صبراً يا شباب .. لا يمكن أن  
أقدم كل شىء فى صفحتين وإلا ما كان من داع لهذا  
الكتيب أصلاً ..

إن أشياء رهيبه ستحدث ..  
يمكننى أن أقسم على هذا ..

★ ★ ★

فى الأسبوعين التاليين لقدمه ، بدأ لنا أن  
( فرانسوا ) مكسب حقيقى لوحدة ( سافارى ) ؛ فهو  
لا يكف عن المرور لفحص الحالات .. وهو من علمنا  
استخدام مستحضر الـ ( دسفيرال ) فى حالات الملاريا  
المخية ، وعلمنا أن استعمال ( الكورتيزون ) لا يقدم  
ولا يؤخر ..

ثم أقام - بنشاط لا يكل - ندوتين علميتين بارعتين  
عن ( وهن الأطراف فى المناطق الحارة ) وعن  
( فسيولوجيا النوم ) ، وقد أعد كل شىء وحده ، بدءاً  
بالشرايح الضوئية الأنيقة ، والصور الفوتوغرافية

وعينات ( الباثولوجى ) المتفنة .. ثم النصّ العملى  
المتقن الذى راجعه بدقة بالغة ..

قال لى ( بسام ) فى حماسة :

- « إنه بارع حقاً .. »

قلت وأنا أرفع حاجبى الأيمن فى تشكك :

- « يقولون فى مصر ( الغربال الجديد له شدة ) ..

لا أدرى إن كان عندكم فى ( تونس ) تعبير مشابه ،

لكنى أتوقع أن حماس ( فرانسوا ) هذا لن يستمر إلى

الأبد .. إنها طبيعة الأشياء .. »

وكان حماس المدير شديداً لهذا الوجه الجديد ..

أكثر من مرة أشاد به ، وكثيراً ما كنت تراه يتأبط

ذراعه فى العنابر ، ليريه هذه الحالة أو تلك .. ودائماً

ما كان لدى ( دوبيون ) ما يقوله ليبيهرنا به ، ويجعلنا

نكتشف جانباً آخر نسيناه تماماً ..

لم يكن فى ( سافارى ) مجال للطب التجريبي ، لكن

( دوبيون ) بحماسة المعدية نجح فى إقناع المدير بأن

يخصص له غرفة متسعة فى الطابق السفلى ، وراح

بحماسة يعدّها كي تكون معملًا ..

لقد دخلتها مرة ، ويمكننى أن أصفها لك بشيء من الدقة ..

أولاً - أول ما يلتفت نظرك - هو جهاز الحاسب الآلى



الخاص بـ ( دوبيون ) ، وقد أحضره معه عند مجيئه ..  
وهو جهاز مربع حديث جدًا يختلف عن أجهزتنا  
البائسة ، التي هي أقرب إلى آلات الجيب الحاسبة ..  
ويتركه مفتوحًا طيلة اليوم ، حتى لتشعر أن هذا  
الجهاز له حياة خاصة مستقلة ..

ثانيًا - ترى بضعة أقفاص بها قروود ( الماكاك ) التي  
اشتراها على حساب الوحدة .. وربما رأيت كلبًا في  
قفص حديدي يرمقك في تعاسة ، أو أرنبًا يلتهم جزرة ،  
أو ضفدعًا ذكرًا ينق مناديا أنثاه ..

ثالثًا - توجد بضع أنابيب اختبار ملأى بسوائل ؛ مما  
يعطى المكان ذلك الطابع الذي لمعامل العلماء المجانين  
في قصص الخيال العلمي .. وكل قصص الخيال العلمي  
بها علماء مخابيل يمارسون تجارب رهيبه سرًا ..

رابعًا - توجد أسلاك كثيرة جدًا ، ودوائر إلكترونية تبرز  
من جهاز معقد جدًا - كأنه آلة الزمن - في وسط المكان .  
خامسًا - هناك لوح كتابة ، وجهاز عرض شرائح ،  
وثلاجة .. كل شيء يغريك بالعبث والتخريب ،  
لكن المعمل له مفتاح واحد مع ( دوبيون ) وهو حذر  
جدًا ، لذا استبدل بأقفال ( سافاري ) البلهاء قفلاً حديثًا  
ذا أرقام سرية ..

وعلى الباب كتب العبارة الرهيبة : ( وحدة أبحاث  
الفسولوجيا العصبية ) .. وهى عبارة تذكر  
بالدكتور ( فرانتشتاين ) ، حتى إن اسم ( دوبون )  
غير الرسمى فى ( سافارى ) صار هو دكتور  
( فرانتشتاين ) .. وقال بعض السود : إن الرجل يزرع  
رعوس كلاب للبشر والعكس ..

لكنى لا أبتلع الفكرة على كل حال ، بسبب عدم  
التناسب بين حجم العنق فى النوعين ، وهذا سبب  
كاف فى رأى .. إن غطاء القلم الحبر لا يسمح بسد  
زجاجة مياه غازية .. هذا مؤكد ..

لقد كان ( دوبون ) وجهًا جديدًا شائعًا ، يتسكك الملل  
كحجر ألقىته فى بركة راكدة فأحدث دوائر ودوائر ..  
ثم انتهى كل شيء ، وعاد الماء إلى هدونه القديم ..  
لهذا - وتلك هى الحياة - بدأنا ننسى كل شيء عن  
الرجل ، ولم يعد سوى طبيب بارع من بين أطباء  
( سافارى ) البارعين جميعًا ..

ثم فاجأنا الرجل بطلب متطوعين ..  
والغرض : تجربة قارئ الأفكار الإلكتروني ..

★ ★ ★

## ٢- قارئ الأناكار ..

كانت السابعة مساءً هي موعدي مع البروفسور  
(بارتلييه) ..

يوجد سبب مجهول لهذا .. السرّ الذي ينتظر في  
مكان ما في كهف مظلم أو في قاع المحيط .. السرّ  
وراء استدعائي الدائم في السابعة مساءً .. فهو وقت  
متأخر بالنسبة للعمل الروتيني ، ومبكر بالنسبة  
للمصائب الليلية ..

المهم أنني اتجهت إلى مكتبه كاتمًا لعناتي ، أو  
هامسًا بها بأسلوب ( البرطمة ) المعروف الذي لا أجد  
لفظة فصحي تعبر عنه ..

كان هناك ، وفي هذه المرة لم يكن وحده .. كانت  
هناك نصف دسنة من أطباء ( سافاري ) تبينت منهم  
( بسام ) و ( جونستون ) و ( ماي فاي لين ) .. لم أر  
( برنات ) لحسن الحظ .. إن الموضوع لا يتضمن  
إقحامها في هذا كله ..

وأمام المكتب جلس ( دوبون ) فى موضع الصدارة  
يطرق للأرض كأنما البساط يثير اهتمامه إلى حدّ غير  
مسبق ...

قال ( بارتلييه ) عندما رأى :

- « .. وهذا د. ( عبد العظيم ) كذلك .. إن الجميع

هنا .. » .

وجلب لى العامل ( دايبلا ) مقعدًا .. كان قد أحضر  
ستة مقاعد ، تراحت فى مكتب المدير الضيق ،  
فجلست جوار الباب متهيئًا للفرار فى أية لحظة ، لو  
كان هناك من يبغى توريطى ..

قال المدير وهو ينتقى كلماته :

- « إن اليوم هو يوم مبارك .. لقد انتهى  
د. ( دوبون ) من تطوير اكتشافه الأخير الواعد ، الذى  
سيقدم لنا الكثير جدًا فى مجال فهم الجهاز العصبى ..  
لكنه - كأي اكتشاف آخر - يحتاج إلى متطوعين ،  
ونحن بحاجة إلى متطوع مثقف ذكى .. »

سألته وأنا أنظر إلى الباب الموارب :

- « متطوعين لأى شىء بالضبط ؟ »

- « هذا كلام سابق لأوانه .. من يتطوع يعرف .. »

تساعل ( بسام ) :

- « هل تجربته تتضمن غرس إبر في الدماغ  
وأشياء من هذا القبيل ؟ إننا نهاب هذا النوع من  
التجارب على الجهاز العصبى .. »  
تبادل المدير و ( دوبيون ) النظرات ، ثم ابتسما  
ابتسامة من نوع ( ألم - أقل - لك - إتهم - سيفكرون -  
فى - هذا ؟ ) .. ثم أشار المدير إلى ( دوبيون )  
برشاقة كى يتكلم ..

قال ( دوبيون ) رافعاً عينيه للمرة الأولى :  
- « دعنى أؤكد لك يا سيدى أن الأمر لا يتضمن  
هذا .. »

- « ولا تجارب على النوم ، وإيقاظ المرء كلما توغل  
فى النعاس ؟ »  
- « ولا هذا .. »

- ولا عينات من السائل النخاعى الشوكى ؟ ولا صدمات  
كهربية ؟ »

- « لا شىء من هذا .. »  
تبادلنا النظرات .. وهنا تساعل ( ماتيو ) أحد  
الأطباء الجالسين :

- « ولماذا لم تجرب على بعض المرضى أو العمال

الأفارقة ؟ »

قال ( دوبون ) فى بساطة :

- « لأنهم يفكرون بالسواحلية أو ( الباتنويد ) ..

وأنا لا أفهمها ! »

أزدادت حيرتنا .. عم يتكلم هذا الرجل بالضبط ؟

هنا قال المدير موجهًا الكلام لى :

- « لم لا تقبل يا ( علاء ) ؟ إن هذا سيجعلنى راضيًا

كما تعلم .. »

وهى الحقيقة .. تدريجيًا غدوت أنا الجدار المائل

فى ( سافارى ) الذى لا يمكن أن يفكر أى شخص فى

عمل مرهق أو عويص أو خطر دون أن تتداعى

صورتى تلقائيًا .. إبنى شاب وفى متناول اليد ..

هلاكى أو ضررى لا يحدث خسارة كبرى ، ونجاحى

لا يحتاج إلا لعبارة إطراء ..

قلت للمدير فى ريبة :

- « أنا مستعد للقبول لو كانت تجربته هذه لا تحدث

ألمًا أو خيالاً .. »

- « أنا متأكد من هذا .. »

- « إذن أنا موافق .. Count me in »

قلت العبارة الأخيرة بالإنجليزية ( اعتبرنى معك ) ،  
وبلهجة فيها استهتار واندفاع ، كأثنى راعى بقر  
أمريكى ، يوشك على ركوب ثور هائج ..  
فبدا البشر على وجه المدير ، وأعلن انتهاء  
الجلسة . لقد وجدوا الأحمق الوحيد الذى يقبل .. وأنا  
لست أحمق لكنى فضولى جدًا ، وما دام ثمن المعرفة  
هو التطوع فلا مفر أمامى منه ..  
ونهضت مغادراً الغرفة مع جلادى ، شاعراً بأنه  
يجذبني خلفه بسلسلة وهمية لا يمكن تحطيمها ..  
دعنا نر هذه التجربة ..

★ ★ ★

بالطبع كان مكان التجربة هو المعمل .. أين  
يجرون التجارب إذن ؟  
أضاء مصباح المكان ، فتألق الضوء فى القاعة  
المظلمة ، واستطعت أن أرى الإعدادات الكثيرة ، التى  
أضافها للمكان كأنما لمستة عصا ساحر ..  
تقدم إلى الثلجة الأفقية فى ركن القاعة ، فأخرج  
منها زجاجة .. زجاجة من بين عشرات العينات

المجمدة لسوائل وأنسجة الجسم ، وصب لي بعضًا  
منها في كأس زاعمًا أن هذا عصير ماتجو .. بالطبع  
لم أجروا على إعلان رأيي الحقيقي .. أمرنا لله ..  
فلنشرب ..

- « اجلس يا د. ( عبد العظيم ) ريثما تشرب .. »

- « ( علاء ) .. »

- « ليكن .. وأنا ( فراتسيس ) .. ما رأيك في هذا

المعمل ؟ »

- « لو لم أجد مسخًا يستعد للنهوض في ركن منه ؛

لبدأ لي هذا غريبًا .. »

فلتها ورفعت عيني نحوه ، فوجدته يبعد عينيّه

عني كعادته الذميمة في اختلاس النظر لك وأنت غير

متنبه .. وبدأ يضحك :

- « دعني أؤكد لك أنه لا يوجد شيء كهذا .. فليس

اسمي ( فراتكشتاين ) .. »

وجلس على مقعد أمام شاشة الحاسب الآلي ، وقال :

- « دعنا لا نضيع الكثير من الوقت .. أنت تعرف

جيدًا أن النبضات الكهربائية هي ما يتحكم في العقل

البشرى .. الأفكار والعواطف والمخاوف هي اختلافات



في تركيزات الصوديوم والبوتاسيوم عبر غشاء ..  
وهنا الاختلاف يخلق فرقاً في الجهد الكهربى ، هو  
الذى يصدر الإشارة العصبية .. صحيح أننا لا نعرف  
شيئاً تقريباً عن هذا كله .. لكننا نحاول .. »

قلت وأنا أرشف السائل الأصفر عديم المذاق :  
- « هذا معروف .. خيال من الشاعرية ، لكنه  
معروف .. ولكن هل أنت حقاً ماضى إلى هذا الحد ؟ »  
فكان جوابه :

- « ربما أنا ماضى .. لكن هناك ثغرة ما فى نظريات  
الماديين .. هذه الثغرة هى ما يتسلل منه الروحانيون  
ليعلنوا ما يؤمنون به .. ليس هذا وقت الجدل حول  
أصل الكون وحقبة الروح .. إنما متفقون على أن  
شيئاً ما يحدث .. شيئاً يمكن قياسه كهربياً .. »

- « مثل جهاز رسم موجات المخ .. »

- « وجهاز كشف الكذب .. كلاهما يقيس كهرباء  
المخ هذه .. لكن الأخير يحاول شيئاً مهماً .. يحاول  
استشفاف حالتك النفسية .. بمعنى أدق هو يلقى نظرة  
ثاقبة على محتوى ضميرك .. »

كان الحماس قد بلغ منه مبلغاً ، وصارت عيناه  
تلتمعان وصوته أعلى .. ويبدو أنه حسب نفسه يلقى

محاضرة عامة .. وهنا خطر لى أن لدى هذا الرجل شعرة جنون ما .. إنها لدينا جميعًا ، لكنها لا تعلن عن نفسها إلا لمامًا وفي ظروف معينة ..

كانت هذه هي الظروف الملائمة لشعرة ( فرانسيس دوبون ) كى يتكلم . ثم أشار إلى شاشة الحاسب الآلى ، وقال :

- « لقد جمعت حشدًا من الشحنات الكهربائية لعقول القرود والكلاب ، وهى تتألم .. تحلم .. تتنشى .. تموت .. وبالطبع استخدمت أسلوبًا أكثر تعقيدًا من رسام المخ الكهربى .. لدى التدفق الكهربى للمهاد والمهاد التحتى والقطان الطرفى والنخاع المستطيل وقشرة المخ البدائية .. ودعنى أؤكد لك أن كل عاطفة كانت لها شحناتها الخاصة .. »

هنا صحت وقد بدأت أفهم :

- « تعنى أن لديك أنماطًا قابلة للترجمة ؟ »

- « بل أكثر من هذا ! لقد صار الحاسب الآلى قادرًا على ترجمتها دون جهد .. أعطه ساعة من الشحنات الكهربائية بعد تحويلها إلى ملف رقمى digital .. عندها يقدم لك شرحًا تفصيليًا بالغ الدقة لما شعر به الحيوان فى تلك الساعة .. »

كان يتكلم وهو يعاين أضرار الجهاز .. والتّمتعت  
على الشاشة أشياء فناداني كي ألقى نظرة ..  
نهضت والكوب في يدي ، وقمى ملئ بما هو  
ماتجو فرضاً .. ودنوت من الشاشة لتأملها ..

الدقيقة ١٨,٠٠ : بدأ شعور الغضب .

الدقيقة ٢٧,٥٦ : هياج كامل .

الدقيقة ٣٤,١٦ : ألم في الرأس .

الدقيقة ٣٩,٢٣ : استسلام - شعور بالخزي .

الدقيقة ٥١,١٧ : جوع - ألم في الأحشاء .

الدقيقة ٥٥,٤٤ : لذة .

الدقيقة ٥٩,٣١ : شبع .

الدقيقة ٥٩,٥٩ : راحة .

سألته وأنا أقرأ المكتوب بشفتي .

- « الدقيقة ٥٩ و ... هل هذه مشاعر كلب ؟ »

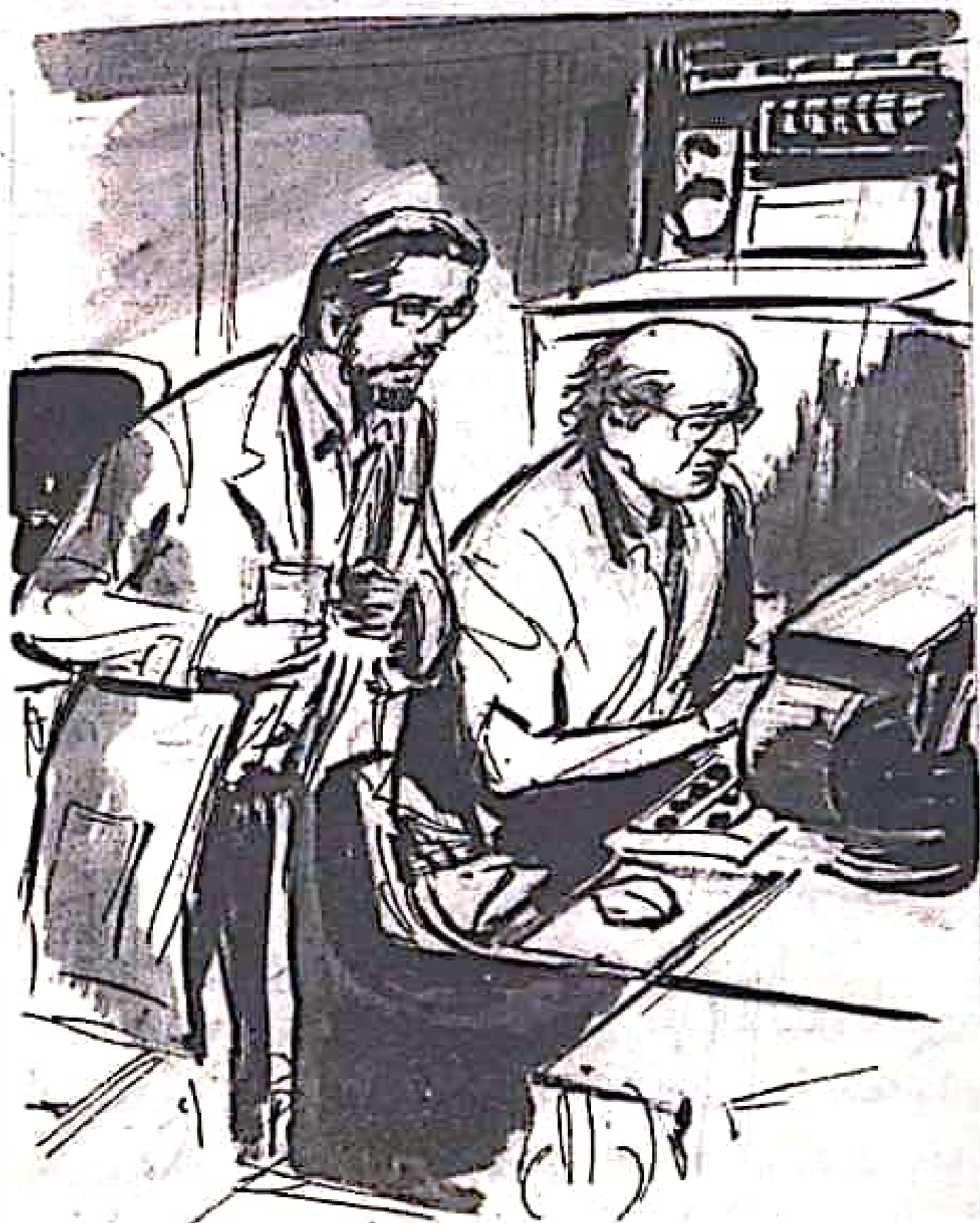
ابتسم في خيلاء وقال :

- « بل مشاعر قرد ( بابون ) .. لقد أغضبته حتى

ثار حنقه وانتابه هياج شديد .. ناولته ضربة بالعصا

على رأسه .. ثم قدمت له بعض الموز ..

كل هذا حكته الشحنات الكهربائية بدقة تامة .. »



نهضت والكوب في يدي ، وغمي ملين بما هو مانجو فرضاً ..  
ودنوت من الشاشة لاتأملها ..

- « وكيف تسجل هذه الشحنات لتتناسب مع الوقت ؟ »  
- « ( الكمبيوتر ) يفعل ذلك .. توجد طريقة لتحويل  
الشحنات الكهربائية وهي مدخل خارجي ، من النوع  
المطابق Analogue إلى مدخل آخر من النوع الرقمي  
Digital .. وهي الطريقة الوحيدة التي يفهمها  
الكمبيوتر .. ثم يقوم بدقة بالغة بتوقيت ما يصله من  
شحنات ، مع فصلها إلى عشرة ملفات .. و ... هل  
لديك فكرة عن الموضوع ؟ »

- « بتأنا .. كل ما أعرفه عن ( الكمبيوتر ) هو  
أنه الجهاز الذي يمكن أن تلعب ألعاب ( الفيديو )  
عليه ، ويتلف فجأة حين تكون عليه ملفات مهمة  
وحيوية .. »

- « هذا هو كل ما تحتاج إلى معرفته على كل  
حال .. »

وبعبارة مسرحية قال :

- « أي - دون مبالغة - أنا أملك سجلاً كاملاً للمشاعر  
ها هنا .. كل شيء شعر به القرد وفكر فيه .. » .  
قلت وأنا أشعر بعجزى عن ابتلاع المشروب والفكرة :  
- « ولكن لحظة .. إن المشاعر البشرية أعقد

بمراحل مما يشعر به هذا الحيوان ، الذي يفكر فيما  
تحت قشرة المخ .. يمكنك أن تميز موجات الجوع  
والخوف والغضب .. لكنى أشك في قدرتك على تمييز  
التردد أو الغيرة أو الحماسة أو - على سبيل المثال -  
التفاؤل المشوب بالحنز .. »

ابتسم كمن يقول لى ( أنت لم تهزمنى ) ، وقال :  
- « هذا حق .. والسبب هو أن الحاسب الآلى لم  
يتعلم تمييز أطراف المشاعر هذه .. لكنه سريع التعلم ..  
يكفيه أن يعرف كيف يبدو الأمر كله ، وبعد هذا  
ستكون لديه قواعد الخاصة .. إتنى - من قبل أن  
أسمع عن لغة ال ( ليسب ) - كان لدى تصور مماثل  
عن لغة أخرى تقوم بالشيء ذاته .. »  
نهضت لأفحص شاشة الحاسب الآلى ، ویدی فى  
جيبى بنطالى ، وسألته :

- « .. والمطلوب منى أن أجلس هنا معك لأشعر ..  
وعليك أن تخمن هذا الذى أشعر به .. »  
قال فى بساطة كأنما هذا أمر مسلم به :  
- « طبعاً .. لكنى لن أخمن مشاعرك .. بل سأعرفها ! »  
وضغط بشكل خاص على الفعل الأخير ..

★ ★ ★

## ٢ - مخرج ..

كانت هذه بحق هي بداية القصة ..  
لهذا لا داعي للأسئلة السخيفة عن سبب ارتداء هذا  
الجهاز على رأسى .. إنه - كما ترون - لا يشبه  
الخوذة بل هو أقرب إلى طوق يلتف حول جبينى ، كما  
كان ( بارج ) يفعل فى مباريات التنس كى لا يضايقه  
شعره الطويل الأشقر ..

الحلقة ملأى بالأقطاب والدوائر المتكاملة ، ويخرج  
منها سلك يتصل بسماعة أولجتها فى أذنى اليمنى ..  
نعم هو منظر غريب .. لكنه - بالتأكيد - لا يمت  
لرواد الفضاء بصلة ..

وهأنذا أتذكر تلك المحادثة مع ( دوبيون ) حين  
طلب منى وضع هذا الشيء على رأسى ..

قال لى وهو يبتسم بخبث :

- « لا تنس أنك تطوَّعت ! »

- « لم أنس .. »

وتركته يضع حلقة المجاتين هذه حول رأسى ،  
ويضىء أشياء فيها ، ويخرج أسلاكاً .. ثم قال وهو  
يفرك كفيه :

- « هكذا كل شىء يعمل جيداً .. والآن عش حياتك  
وحاول أن تجرب انفعالات كثيرة .. »  
صحت مقاطعاً وأنا أنهض :

- « لحظة ! ألن أجلس فى معملك حتى ينتهى هذا  
كله ؟ »

قال وهو يضم أنامله مهدناً :  
- « بالطبع نعم .. ما نوع المشاعر والأفكار التى  
يمكن أن تفكر فيها فى معمل مظلم كهذا ؟ يجب أن  
تمارس حياة عادية ! »  
- « أنت مخبول !! »

ومددت يدى لأنزع الطوق ، فصرخ محذراً :  
- « لو كنت مكاتك لما فعلت ! إنك ستتلف جهازى .. »  
- « هذا يسرتى .. »

وتحسست الحلقة المعدنية ، وأردفت :  
- « أعطنى سبباً واحداً يمنعنى من نزع هذا  
الشىء .. »



- « الشرف ! أنت أعطيت وعدًا .. ثم العلم .. أنت ستجعلنا نعرف أكثر بالتضحية بمضايقة صغيرة كهذه .. أنا لم أطلب فتح بطنك ، ولم أطلب بانتزاع حبلك الشوكي .. كل ما أطلبه هو أن تبدو أحمق لمدة يومين لا أكثر ! »

بدا لي كلامه منطقيًا .. لم لا ؟ إن الأمر مسلٌ على كل حال ، ثم إنني لخليق بأن أجد لذة في رؤية دهشة الآخرين ، ومقابلة سخريتهم باحتقار وتعالٍ علمي مهيب .. إنهم لا يعرفون ..

أضف لهذا أنني أملك - ككل شباب - رغبة في التميز ولفت الأنظار ، ولو كان هذا بارتداء طوق معدني على رأسي .. هناك من الشباب في مصر من يقبل دفع مبالغ باهظة من أجل شيء كهذا ، ويسمى هذا ( روشنة ) .. فلم لا أقبل هذه الخدمة المجانية ؟

سنضحك كثيرًا في اليومين التاليين ..

أنا واثق من هذا ..

قلت وأنا أعود للجلوس :

- « ليكن .. أكمل كلامك .. »

قال وهو يتنهد في رضا :

- « حسن .. كل ما هناك هو أن تخرج هناك ..  
ليكن موعد البدء هو السادسة صباحاً .. كل ما تشعر  
وتفكر به ستقوله في سماعه جهاز اللاسلكى لأدوته  
عندى .. بعد يومين سيكون عندى تحليل شعورى  
لا بأس به .. هل ثمة أسئلة ؟ »

- « وماذا تستفيد من هذا ؟ »

- « أن أعرف ! »

قالها كأنما هى إجابة كافية لكل سؤال أحقق آخر ..  
سألته وأنا أنهض :

- « ألن تنتزع هذا الشيء الآن ؟ تقول إنى سأبدأ

غداً فلا داعى لأن أنام بهذا القيد الحديدى .. » .

- « أنا بحاجة إلى تخطيط أحلامك ، ومستوى

انفعالاتك فى أثناء النوم .. سيكون هذا هو خط

القاعدة عندى .. »

وهكذا فارقته حاملاً تلكم الأضحوية على رأسى ..

لحسن الحظ كان الوقت متأخراً وردّهات ( سافارى )

خالية من الفضوليين .. صحيح أننى تواق إلى رؤية

دهشتهم ، لكن ليكن هذا فى ضوء النهار ..

إن ليلة عسيرة تنتظرنى حقاً ..

★ ★ ★

وفي الصباح نهضت ، شاعراً بما يشعر به أي شخص آخر يقضي ليلة كاملة بطوق حديدي حول رأسه ، واضعاً الوسادة تحت عنقي كي لا أؤذي منات الأسلاك والدوائر الحساسة بثقل رأسي ..  
كانت الساعة السابعة صباحاً ، وقد بدأت التجربة منذ ساعة .. بدا لي كل هذا سخيلاً ، لكنني قررت أن أبر بوعدي ..

مددت يدي إلى مكبر الصوت الذي يمكن طيئه وفرده ليتدلى من الطوق ، فقربته من فمي كما يفعل الطيارون ، وقلت بصوت مسموع :

- « السابعة صباحاً .. أشعر بإرهاق شديد .. لم أتم جيداً .. عنقي يؤلمني كأنني دجاجة في بلد لا يذبح الدجاج ، بل يهشم أعناقهم .. أشعر بأن ما حدث لي أمس سخف .. وأحياناً أجد ( دوبون ) مخبولاً ولا أعرف لماذا أطعته .. »

كان هذا كافياً ، وبدأت طقوس الصباح المعهودة ..  
- « السابعة وسبع دقائق .. يبدو أن الإمساك لم يتحسن .. »

- « السابعة وعشر دقائق .. آي ! لقد جرحت لحيتي .. كنت أحاول أن أشذب أطرافها .. »

- « السابعة واثنتا عشرة دقيقة .. الصلاة ..  
لا تنس أنتي مسلم .. مشكلتي هي شرود ذهني في  
أثناء الصلاة .. لكني لن أقطعها لأحكي لك ما أفكر  
فيه في هذه اللحظات .. الله أكبر ! »

- « السابعة وست عشرة دقيقة .. أشعر بالجوع .. »  
وأغلقت غرفتي ، وخرجت من جناح مساكن  
الأطباء قاصداً المقصف .. لأتناول بعضاً من الطعام  
الرديء الذي تمتاز به ( سافاري ) ..

كان عشرات الأشخاص يلقونني ليروا ذلك المشهد  
الغريب بعض الشيء : أنا أضع على رأسي طوقاً  
حديدياً ، وأكلم نفسي في جهاز ( ميكرفون ) صغير  
الحجم ، ثم - الأسوأ - أظهار بأن هذا كله طبيعي !  
دخلت المقصف وكان الجميع يثرثر ..

فما إن دخلت حتى ساد صمت ثقيل .. صمت له  
وزن وسُمْك .. كان يوسعي أن أرى الطير فوق  
رعوس الجميع ..

تهامسوا بالإنجليزية .. بالفرنسية .. باليابانية ...  
بالإيطالية .. لكني لم أحتج إلى أن أكون عميد  
( الألسن ) كي أعرف ما يقولون ..

وهكذا اتجهت في ثقة إلى فتاة الخدمة ، ومررت  
بالرف التقلّيدى حيث أملاً صينيّ بالتدرّج من كل  
صنف ، ثم حملتها عائداً إلى إحدى الموائد ..  
أخرجت السماعة وبصوت مسموع قلت :

- « الطعام ردىء لكنى جائع .. »

والتهمت بعض المربى وضعتها على شريحة خبز :

- « السابعة والنصف : أشعر بلذّة .. السابعة

وخمس وثلاثون : مذاق القهوة المرّ على حلّيات

التذوق فى لساتى .. »

دنا منى طبيب إيطالى له جسم مصارع ، وسألنى

متهكماً :

- « هل افتحوا سيركاً فى ( سافارى ) ؟ دعنى

أعرف ! »

لم أردّ عليه .. إنما :

- « السابعة وواحدة وأربعون دقيقة : أشعر بالإهانة

والغيظ .. أبحث عن ردّ مناسب على هذا الخنزير

البرئ .. »

فى حنق صاح وهو يكور قبضته :

- « أنا خنزير برئ ؟! يا لك من ... »

رفعت إصبعًا منظرًا في وجهه :

- « حذار ! أنت تفسد تجربة تتم تحت إشراف  
البروفسور ( بارتلييه ) شخصيًا .. ولو عرف أنك  
تتدخل في الأمر فسوف ... »  
وجففت شفتي بالمنديل الورقي ، وغادرت المائدة ..  
ومن جديد أستحم في بحر من النظرات البلهاء ..  
لا أحد يفهم ما يحدث ، وأنا بدوري لا أقدم تفسيرات  
من أي نوع ...

★ ★ ★

وفي الاستقبال جلست أنتظر مريضى الأول حين  
يسمح له ( بودرجا ) بالدخول .. كان امرأة إفريقية  
تحمل وليدها على ظهرها كعادة الإفريقيات من  
( البانتو ) ..

فما إن رأتنى حتى جحظت عيناها ، وتراجعت  
خطوة .. إن شكلى ولا بد يبدو كساحر قبيلة .. لكن  
أى ساحر ! بالتأكيد ساحر قوى متطور يتناسب سحره  
مع ضرورات العصر ..

كأنت مذعورة لكنى ابتسمت ابتسامة مشرقة - أو  
هكذا ظننتها - ودعوته بالإشارة للجلوس ..



فما إن رأني حتى جحظت عيناها ، وتراجعت خطوة ..

[ ٣ م - سالاري ه ( تجربة عمرة ) ]

راح ( بودجا ) يترجم لي ما تقول ، وأنا أحاول أن  
أركز في الأعراض قدر الامكان ، لكنني فشلت ..

- « أشعر بفقدان تركيز تام .. »

في غياب سألني ( بودرجا ) :

- « هل تقول لي هذا يا دكتور ؟ »

- « بل أكلم نفسي بصوت مسموع .. أرغب في

استدعاء د. ( برنات ) مختصة الأطفال .. »

كان الرضيع شيئاً ما يصرّ على اعتبار نفسه كأننا

حيّاً .. وقد أدركت من حركة صدره المتقطعة أنه

يعاني التهاباً رئوياً شديداً ، لكنني كنت عاجزاً عن

اتخاذ قرارات أخرى مثل : هل هذا صحيح ؟ هل يوجد

هبوط بالقلب ؟ إلخ ..

أخيراً جاءت ( برنات ) ، فكورت أنفها بأسلوب

( التشنيجة ) كما تقول في ( مصر ) ، وهتفت أن

( هاي ) ..

ثم راحت تمرر سماعتها على صدر الرضيع الذي

لا يزيد حجمه على قطر السماعة إلا قليلاً .. وقرعت

الصدر بأناملها مرتين ، ثم أعلنت تشخيصها ..

لكنني لم أصغ إليه لأنني تذكرت مكبر الصوت :



- « أشعر بحبٍ شديد ، وقلبي يرتجف في ضلوعى .. »

نزعت السماعة عن أذنيها وتساءلت بحيرة :

- « أستمحك العذر ؟ لم أسمع ما قلت .. »

- « لا شيء .. »

تأملت الطوق الحديدى حول جبينى ، وابتسمت

قائلة :

- « يا صغيرى المسكين ! يبدو أنهم جعلوك تفتنع

بهذا .. »

- « لقد اعتدته على كل حال .. »

- « تبدو كأنما أنت فى فيلم خيال علمى .. هل

شاهدت ( رجل الأقطاب ) ؟ لا ؟ كنت ستتذكر هذا

المشهد دائماً (\*) .. »

ثم عادت إلى لهجتها العملية الجادة ، فقالت وهى

تدس السماعة فى جيب معطفها ، وتتأهب للانصراف :

- « سأخذ هذه الحالة .. وداغاً يا ( علاء ) ..

وأرجو أن تتخلص من قبعة المخابيل هذه .. »

وهكذا واصلت عملى وتدوين ملحوظاتى دون

---

(\*) قصة شهيرة لـ ( مايكل كرشتون ) ، وهى تتحدث عن

الفيلم السينمائى طبعاً ..

حماس كبير فى الواقع ، ولم أكف عن الشعور برجفة  
كلما تخيلت عيني ( دوبون ) الصافيتين تتأملان كل  
فكرة ، وكل خاطرة ، وكل عاطفة شعرت بها طيلة  
اليوم ..

بل والأسوأ هو تخيل هدير قرص الحاسب الآلى  
المحايد البارد ، وهو يحل ويفند دون رحمة كل هذا  
الخليط من المشاعر ..

- « إنها الثانية ظهراً وأنا مرهق .. »

قلتها وأنا أغادر العيادة ..

شأن ما بين منظرى وأنا أدخلها منقوشاً منتفخ  
الصدر مزهواً ، وبين منظرى وأنا أغادرها مهشماً  
مضعفاً أجر قدمى جراً ، كأحد جند ( نابليون ) فى  
سهول ( روسيا ) الجليدية ..

كان ( ليفى ) يعبر الردهة وهو يثرثر مع طبيبة  
نرويجية ، فلما دنوت منه أدنيت فمى من الميكروفون ،  
وبصوت مسموع قلت :

- « أشعر بكراهية واشمنزاز كأتنى أرى سحلية .. »

ومشيت حثيثاً مبتعداً عنه قبل أن يفهم ، أو يجد رداً

لهذه الإهانة التى لا يفهم لها سبباً فى اللحظة الحالية ..

★ ★ ★

من حسن حظ ( دوبون ) أن يومي كان حافلاً  
حقاً ..

في الرابعة عصراً استدعاني ( آرثر شلبي ) إلى  
مكتبه .. فما إن دخلت في تودة حتى راح يرمق  
الحلقة حول رأسي ، وقال :

- « جاش ! ( يستعملها للتعجب ) .. تبدو قادمًا  
من المشتري .. لكن من حسن حظك أن الجميع يعلم  
بموضوع التجربة ، فلا تخجل ولا ترتبك .. هناك  
كثيرون قد سخروا من الأخوين ( رايت ) .. والآن ..  
لا أحد يسخر من الطائرات .. »

ثم نفث دخان السيجار فملاً الحجرة ضباباً ، وقال :

- « أنا بحاجة إليك .. لقد صار من الضروري أن  
تتعلم شيئاً عن أساليب البحث العلمي ، ويبدو أن هذا  
هو الوقت المناسب .. »

كان جالساً جوار شاشة حاسب آلي ، أشار إليها  
وسألني :

- « هل تعرف كيف تفتش عن موضوع علمي ؟ »  
- « إنني أكتب السؤال على شاشة الحاسب .. ويقوم  
هو بكل شيء .. »

ضحك كثيراً حتى سعل ، واتسدل شعره الأشيب  
على عينه اليسرى ، وقال :

- « كح كح ! ليس بالضبط .. أنت - ككل من يجهل  
الحاسب الآلى - تحسبه رجلاً حكيمًا عجوزًا كل  
ما عليك أن تسأله وهو يجيب .. »

ثم داعب بعض الأزرار ، وقال :

- « إن هذا فى النهاية صحيح .. لكنه يحتاج إلى  
بعض الإجراءات .. ولسوف أعلمك الطريقة ، وتوفر  
على أنت وقتًا لا بد أن يضيع فى فتح مواقع  
( الإنترنت ) المختلفة .. »

وهكذا جلست أمام ذلك الصندوق اللعين ، أتعلم  
للمرة الأولى كيف أبحر فى ذلك العالم القسيح ..  
الحق أنها كانت ساعات ممتعة ، ولم أشعر  
باتقضاها قط إلا حين نظرت لساعتي لأجدها السابعة  
مساءً .

كان شيلبى - بكسر الشين وتسكين اللام - عاكفًا  
فى الآن ذاته على كتابة نص ما لموضوعه البحثى ،  
ولم يضايقه طيلة الوقت سوى تعليقاتى فى الميكروفون :

- « أنا سعيد - أشعر بالرضا - هذا الرجل مفيد -  
أرتاب فيه لكنى معجب به الآن - يا للملل ! لقد فشل  
الاتصال ثانية .. »

قال فى تودة وهو يرمقتى من فوق إطار عويناته :  
- « كل هذا جميل .. لكنى أفضل لو ظللت صامتًا  
بعض الوقت .. »

- « لا أستطيع .. لابد من تدوين ملاحظاتى باستمرار  
صوتيًا .. »

وهنا دوى صوت المكبر يقول بالفرنسية ، وبصوت  
أثوى رخيم من تلك الأصوات التى يجدن اصطناعها :  
- د. ( عبد العظيم ) مطلوب فى مكتب المدير ..  
د. ( عبد العظيم ) مطلوب فى .. »

قال ( شلبى ) دون أن يرفع عينيه عن أوراقه :  
- « يمكنك الانصراف الآن .. إن ( لويس السادس  
عشر ) يريدك .. »

وهو لفظ آخر من ألفاظه التهكمية المستمرة على  
المدير ، باعتباره طاغية فرنسيًا .. وهو ما لن أفهمه  
أبدًا . فالمدير هو آخر من يمكن اتهامه بأنه طاغية ..  
المهم أننى تركت غرفته ، واتجهت إلى مكتب المدير ..

المدير وأنا والساعة السابعة مساءً .. ثالوث  
مقدس لا يمكن أن يتفكك .. ولا أفهم السبب .. فلو  
مات هذا الرجل لوجدت أن شبحه يطالبني بزيارة قبره  
في السابعة مساءً ..

وفي سماعه الميكروفون قلت تعليقي :

- « أشعر بالدهشة والغیظ بسبب استدعائي في  
الموعد ذاته كل يوم .. أشعر بالقلق بصدد هذا  
الاستدعاء .. »

كان جالساً إلى مكتبه يلتهم عشاءه البسيط ،  
المكون من الخبز المقدد وبعض الجبن وكوب من  
الحليب .. إن هذا الرجل يسكن مع امرأته وابنته على  
بعد عشر دقائق مشياً من وحدة ( سافاري ) ، لكنه  
- يقال هذا وأصدقه - لم ير امرأته سوى ثلاث مرات  
في حياته ، ويبدو أنه لن يعرفها إذا رآها في مكان  
غير بيته ..

فما إن رأني حتى ابتسم ، وكان الحليب قد جعل له  
شارباً أبيض صغيراً فوق شفته العليا ، فابتسمت  
بدوري وقلت في الميكروفون :

- « مشهد مضحك حقاً .. »

لم يعلق ولم يفهم الدعاية ، وقال وهو يدعوني للجلوس :

- « أنا مسرور بكونك تطبق التجربة حرفياً .. »  
قلت له فى ريبة :

- « يبدو لى الأمر دعابة سخيفة .. إن ( سافارى )  
تفقد الكثير من مصداقيتها واحترامها العلمى بترك  
العنان لكل أولئك المخبولين .. »

- « أنت لا تعرف ( دوبون ) .. »

قالها وأزاح الطعام جانباً ، وجفف شاربه الأبيض  
بمنشفة ورقية :

- « .. الرجل حجة فى فسيولوجيا الجهاز العصبى ،  
ويعرف جيداً ما يقوله .. المختصون فقط يعرفون  
مدى حظنا السعيد إذ قبل رجل كهذا أن يعمل معنا ..  
وحين يقول ( دوبون ) إنه قادر على قراءة الأفكار  
فأنا لا أبتسم وأتهكم .. بل أهتم .. »

قربت الميكروفون من فمى ، وقلت بصوت عال :

- « الساعة السابعة والرابع مساء .. أنا أقترح على

المدير أنك نصاب ، لكنه ليس متحمساً لهذا الافتراض .. »

ابتسم من جديد .. ثم رسم الجدية على ملامحه وقال :

- « دعنا من المزاح الآن .. ولنتكلم فى ... قل لى :  
هل أنت واثق من أن هذا الميكروفون خاضع لإرادتك ؟  
لربما كان جهاز تصنت يعمل طيلة الوقت .. »  
هزرت كتفى :

- « لا أدرى .. وما من وسيلة للتأكد .. ولكن  
لماذا ؟ »

- « لأن ما سأقوله لك يجب أن يظل بعيداً عن  
( دوبون ) .. »

ثم تناول مفكرة صغيرة خطَّ عليها بضع كلمات  
بخطه الأنيق الشبيه بخط فتاة ، وناولنى إياها لأقرأ  
المكتوب :

- « لا تتكلم بصوت عال .. أريد منك أن تكون  
حذراً .. »

تناولت قلمه الموضوع على المكتب ، وكتبت له  
بحروف واضحة :

- « حذراً من أى شىء بالضبط ؟ »

تناول القلم والمفكرة وكتب :

- « إن طموح ( دوبون ) لا يقف عند حد .. وحتماً

سيتجاوز الحدود التى يقرها الدين والعرف فى تجاربه ..  
أريد منك أن تكون موجوداً فى لحظة كهذه .. »



فتناولت القلم بدورى وكتبت :

- « كيف يتجاوز الحدود ؟ »

فخط لي :

- « لن أفصح الآن .. لكنى أتوقع أن يحاول القيام

بتجربة محرمة ! »

★ ★ ★

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)  
Hany3H

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)

## ٤- الأخ الأكبر ..

انتهت المحادثة السرية بعد نصف ساعة ، فعدت إلى عملى ..

ماذا قيل فيها ؟ ألم أقل إنها سرية ؟ إن السرّ يُعتبر مَدَاعًا إذا عرفه أكثر من اثنين .. فماذا عن السرّ الذى يعرفه القراء كلهم ؟

دعونا ننس هذا مؤقتًا لنبضع صفحات أخرى ..

★ ★ ★

والآن لن أخوض فى تفاصيل اليوم التالى ..

إنهم يستعملون فى الأبحاث العلمية لفظة Ibid اللاتينية ، التى تعنى ( نفس المرجع السابق ) ، وفى السيناريوهات السينمائية يقولون ( نفس المكان - نفس الثياب ) .. حسن .. ربما كان من الأوفق أن أجد لفظًا قريبًا من هذا .. لقد تم كل شىء بالأسلوب ذاته ..

وفى المساء كان على أن أدخل معمل ( وحدة

أبحاث فسيولوجيا الجهاز العصبي ) ، كي أنزع الطوق  
الحديدي المقيت من حول رأسي وأعيده لـ (دوبون)  
قطب مني أن أضعه في كيس بلاستيكي على  
المنضدة ..

شعرت لحظتها أن قمة رأسي تنبض بالدم الشرياني  
الذي حرمت منه يومين كاملين ، حتى إن هذا كان  
مؤلماً ..

وعلى الشاشة رأيت مشهد الموجات العتيد مع  
محور أفقي يشير إلى الوقت ، وكان لذلك توقيت  
خاص على غرار ( الساعة ٤١ ) و ( الساعة ٤٧ ) ..  
وكانت هناك أسهم خضراء على المحور السيني تشير  
بعبارات على غرار ( الموضوع يشعر بالقلق ) أو  
( الموضوع جائع ) .. بدائي هذا مهيناً .. وقلت  
لـ (دوبون) :

- « أنا موضوع ؟ »

ابتسم وهو يتصفح الشاشة بالسهم الأيمن ، وقال :

- « لا مفر من هذا لو أردنا أن نكون موضوعين .. »

جلست مسترخياً شاعراً بلذة العبد الذي تحطم قيده ،

وسألت :

- « هل فرغت من تحليلي ؟ »

- « الحاسب عاكف على ذلك .. وهو في صدد

تكوين لغة كاملة حروفها هي موجات الدماغ .. ولكن

لدى سؤال .. »

رفعت عيني إليه فأبعد عينيهِ سريعاً كدأبه ،

وسألني :

- « .. لدى موجات شاذة لم أعدها من قبل

تتوافق مع ما حدث لك أمس .. أريد فهم ما كنت

تفعله آنئذ في السابعة مساءً .. بالتحديد بين السابعة

والسابعة والنصف ؟ لقد كفتت عن إملاء أفكارك حين

دخلت مكتب المدير ! »

أسقط في يدي لبرهة ..

هذا الرجل دقيق جداً .. لكنني أملك إجابة مُسكّنة

لحسن الحظ :

- « كنت أتلقى التقرير ، وما كان تسجيل هذا

مستحباً .. »

هز رأسه كمن فهم .. وابتسم ، عندها قلت لنفسي :

ذلك الرجل كان يتتصت على المحادثة بلا شك ..

أعني أنه لم يسمع أية محادثة وهذا معناه أنني كاذب ..

لا يهتم .. فليست مطالبًا بإرضائه أو نيل ثقته ..  
سألته وأنا أنهض :

- « أية خدمات أخرى ؟ »

- « حاليًا .. لا .. شكرًا .. لكننا سنحاول بعد  
يومين أن نقرأ أفكارك دون استرشاد منك ، وبمعاونة  
الحاسب الآلي فقط .. »

- « سيكون هذا مثيرًا .. »

ونهدت مغادرًا معمله ، وأنا أشعر بعدم رضا ..  
غداً سيكون على أن أعيد ارتداء قبعة المخابيل هذه .

★ ★ ★

ولم يكذب الرجل خبيرًا ..

بعد يومين جاءني من يطلبني إلى مكتب المدير .  
فتوجهت إلى هناك متوجسًا ، خاصة أنها لم تكن  
السابعة مساءً ..

وكان ( دوبون ) هناك عاكفًا على تأمل المدير ،  
بينما هذا الأخير ينظر في اتجاه آخر .. تبًا لنظراته  
الناقدة العدائية المتهكمة هذه ! لماذا يعطى إنسان  
لنفسه حق إطالة النظر في الآخرين ؟

ثبتت عيني على عينيه ، وأقسمت ألا أبعدهما أبدًا ..

قال بروفسور ( بارتلييه ) :

- « والآن يا عزيزي ( علاء ) .. نحن نريد منك ارتداء هذه القبعة لمدة يومين آخرين .. في هذه المرة ستلتزم الصمت تماماً .. »

هزرت رأسي في ملل :

- « أعرف .. وعلى الحاسب الآلي أن يحاول استنتاج ما أشعر به من موجاتي المتعددة .. »  
- « هذا يجعل مهمتنا أيسر .. »

هنا تدخل ( دوبون ) وقد أغاظه أنه عاجز عن تأملي خلسة :

- « لحظة .. سيكون على د. ( علاء ) أن يدون ما يشعر به بدقة .. وكتابة .. مع التزام الحرص في تسجيل الساعة .. هذا سيجعل لهذه الدراسة بعداً شائقاً يمكن قياس حساسيته وخصوصيته .. »

قال البروفسور ( بارتلييه ) مفسراً لي :

- « حساسية الاختبار هي قدرته على تحديد النتائج الإيجابية .. أما خصوصيته فهي قدرته على استبعاد النتائج السلبية .. هل درست علم الإحصاء ؟ »

- « للأسف لا .. »

- « إذن حان الوقت لذلك .. والآن يمكن بدء الجزء  
الثانى من تجربتك ، وسوف نلتقى هنا بعد يومين  
آخرين لنرى ما وصلنا إليه .. »

ونَهضت حارصاً على ألا أفارق عيني ( دوبون )  
لحظة واحدة ، فتقدمنى إلى المعمل ..

هناك قام بتركيب الطوق المعدنى والأقطاب إياها ،  
لكنه استثنى مكبر الصوت .. سيقوم الطوق بإرسال  
موجات دماغى فى إشارة لاسلكية إلى جهاز الحاسب  
العملاق الذى يطلق عليه ( دوبون ) اسم ( الأخ  
الأكبر ) .

- « ( الأخ الأكبر ) » - قال ( دوبون ) مفسراً -  
« هو جهاز الحاسب العملاق الذى كان يراقب كل  
شء فى العالم ، ويجثم على أنفاس الناس ويحكمهم  
فى رواية ( جورج أورويل ) المسماة ( ١٩٨٤ ) ..  
أعتقد أنها تسمية مناسبة جداً .. كان الناس - فى  
الرواية - يلقون فى كل مكان لافتة تقول : تذكر أن  
الأخ الأكبر يراقبك .. ! »

- « سأذكر هذا .. »

★ ★ ★

وهكذا عشت حياتي في اليومين التاليين ، أمارس  
كل أنواع الانفعالات .. أثور حتى يغلي دمي ، وأضحك  
حتى ينشق جنبي ، وأحلم حتى يتلاشى وجودي ،  
وأكل حتى تخنفتي الذبحة ..  
فقط كنت أوقع ملاحظات صغيرة في مفكرتي من  
آن لآخر ..

الساعة ٩:٤٥ مغص شديد .

الساعة ١٠:٢٥ إصبع قدمي الأيسر يؤلمني .

الساعة ١١:٣٠ أشعر باشمنزاز شديد إذ أرى جرحاً  
ملوثاً في ساق طفل من ( الباتو ) .

الساعة ١١:٤٥ أشعر بالرضا .. لقد نظفته بعناية ..

وهكذا استمررت في هذا العمل الغريب .

ليس شيئاً معتاداً أن ترى إنساناً يدون سطوراً في  
مفكرته كلما مرت ثلاث دقائق .. لكن هذا ما حدث ،  
وقد حرصت على الكتابة بالعربية منعاً لتطفل  
المتطفلين .. إن هؤلاء ( الأعاجم ) لا يفهمون حرفاً  
من العربية لحسن الحظ ، ويرونها نقوشاً زخرفية  
جميلة .

أخيراً انتهى اليومان ، فأتجهت إلى مكتب المدير



لأنترع قبعة المخابيل وأضعها على مكتبه ، وأتهد  
تنهيدة الخلاص ..

- « لقد انتهيت يا سيدى .. وأتعشم أن أكون قد  
بررت بوعدى .. »

ابتسم مسيو ( بارتلييه ) وانتفخ لغده المكتنز فى  
رضا ، وقال :

- « حقًا بررت ، وأن أن تستريح قبل أن يصير  
اسمك الرسمى هو ( رجل الأقطاب ) .. لقد سمعت  
هذا النعت مرارًا مقرونا باسمك ، ويقولون إنك تثير  
هلع الأطفال .. »

- « هذا شرف لا أدعيه .. »

ثم سألته وأنا أتجه للباب :

- « ألم يتحقق من مخاوفك شىء ؟ »

- « نعم .. ويبدو أننى عجوز متشكك .. إن

الشيوخ يصابون بالـ ( باراتويا ) أكثر من سواهم ،  
ويتوقعون أخطارًا لا وجود لها .. »

هزرت رأسى موافقًا ، ولم أبد اللياقة المطلوبة كى  
أقول له إنه ليس عجوزًا أو أى شىء من هذا القبيل ..  
وغادرت الغرفة ..

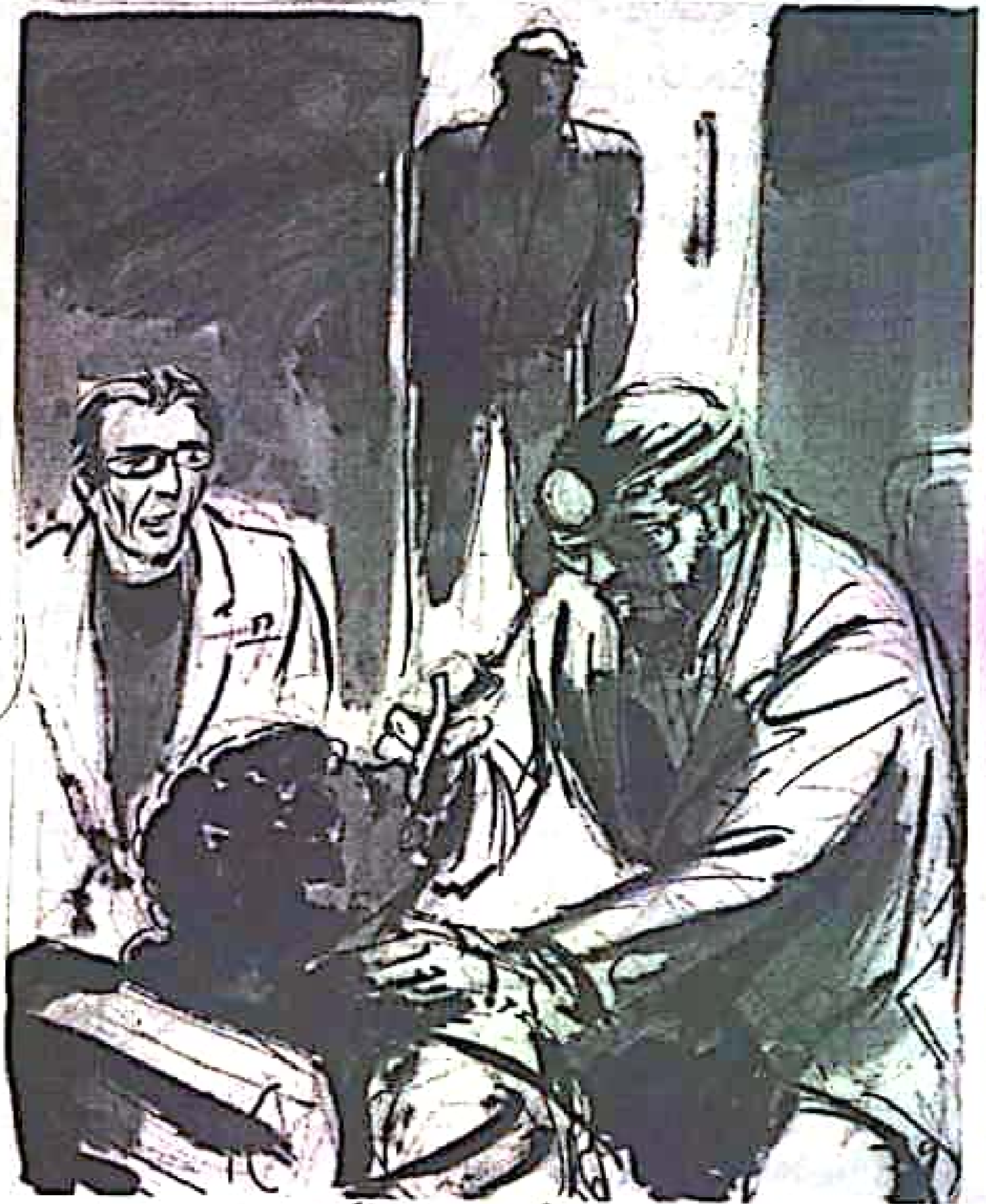
★ ★ ★

فى الصبأح آء ( ءوبون ) إلى قسم أمراض الأنف والأذن والحنجرة ، حيث كنت مكلفا بالعمل اليوم ..  
كنت جالسا جوار د. ( ألبرتو بوتسو ) أأاول - فى تعاسة - أن أأكم فى اتجاه الضوء المنعكس من المرآة المعلقة من جبهتى ، وهو أمر يبدو سهلا لمن لم يجرببه .. لكنك أدرك على الفور أنك عاجز تماما عن السيطرة على بقعة الضوء التى تتحرك بجنون فى كل صوب عدا حلق المريض ..

قال د. ( بوتسو ) باسمأ بلهجته الإيطالية الظرفية :  
- « صبرا .. صبرا ! لقد كان تعلم المشى أصعب من هذا لكنك مشيت برغم كل شىء .. »  
- « لا أعتقد أنه من السهل تعليم كلب عجوز حيلة جديدة .. » .

- « أنت لست كلبا عجوزا .. أنت كلب شاب ! »  
هنا ظهر ( دوبون ) ببسمته الصافية المتألقة ، كأنما يشاركنا المحادثة على الفور .. وكان ما سمعه ممتع حقا ..

قال مستأذنا د. ( بوتسو ) :  
- « لا أدرى إن كان من حقى أن آخذ مساعدك .. »



كنت جالساً جوار د . (ألبرتو) أحاول .. فى تعاسة -  
أن أتحكم فى اتجاه الضوء ..

رفع ( بوتسو ) يديه في حركة درامية ، قائلاً :  
- « إنه لك .. فهو يزيد متاعبي ها هنا .. »  
خلعت الطوق الكريه من رأسي ونهضت .. لقد  
صار قدرى فى ( سافارى ) أن أضع كل أنواع  
الأطواق حول رأسي طيلة الوقت ..  
ولكن ماذا يريد ( دوبون ) منى ؟  
خارج العيادة حيث احتشد الأهالى كل ينتظر دوره ؛  
قال لى ( دوبون ) وهو يتأبط ذراعى فى مودة :  
- « الآن نقارن ما كتبته أنت مع ما سجله حاسبى  
الآلى .. »



راح يتابع المکتوب على الشاشة ، ثم سألتنى :  
- « لنبدأ .. أعتقد أنك شعرت بألم فظيع فى الساعة  
٩:٤٥ صباح اليوم الأول .. وكل شىء يوحى بأنه  
مغص فى بطنك .. »  
فتحت المفكرة التى أخرجتها من جيب معطفى ،  
وقرأت المکتوب :  
- « الساعة ٩:٤٥ .. مغص شديد .. »  
- « وفى الساعة ١٠:١٥ .. شعرت بقلق عارم .. »

ربما كان السبب هو تفكيرك في أهلك النائين عنك .. «  
أعدت تأمل المفكرة .. ولم أجد ما أقول ..

واصل القراءة بصوت محايد :

- « الساعة ٢٥ : ١٠ .. ألم حاد آخر .. التخطيط

الطوبوغرافي لقشرة المخ يقول إنه ألم في إصبع  
القدم الأيسر .. » .

هنا أغلقت المفكرة ، ونظرت نحوه متسائلاً ..

- « هل هذا صحيح ؟ »

- « ما هو الصحيح ؟ »

- « لقد تمكنت من قراءة أفكارى حقاً ! »

قال وهو يبتسم في انتصار :

- « لم أقرأ أفكارك بل قرأت مشاعرك وأحاسيسك ..

وعلى كل حال لا توجد شعوذة في الموضوع .. كل

ما هناك هو منطق علمي صارم وقياس دقيق .. في

الساعة ٣٠ : ١١ يبدو لي أنك تشعر باشمنزاز قاتل ..

هل هذا صحيح ؟ »

- « حقاً .. »

راح يتفقد الشاشة بالأسهم الجانبية ، ثم توقف عند

قراءة ما ، وقال لي :

- « لكن هناك مشاعر لم يستطع الحاسب الآلى تمييزها .. مثلاً فى الساعة ٣٠:١٠ صباح أمس .. توجد موجات اكتفى الحاسب الآلى بوضع علامات استفهام عندها .. بم شعرت فى هذا الوقت بالضبط ؟ »  
تأملت مفكرتى وقلبت صفحاتها ، ثم قلت :

- « الواقع .. لم أدون شيئاً .. لكنى بالتأكيد كنت فى غرفة الجراحة مع د. (الفريد) الجراح الدايمارى .. لم يحدث شىء ذو بال .. »

هز رأسه فى حيرة ، ثم واصل تفقد الموجات ..

- « وماذا عن الساعة ١٠:٤ مساءً أمس ؟ »

- « كنت أقل ثعباناً .. »

رفع حاجبيه فى عدم فهم ، فقلت موضحاً :

- « حقاً .. كان هناك ثعبان فى الحديقة .. »

- « أسام هو ؟ »

- « لا أدرى ( موديلات ) الثعابين .. لكنها كائنات

كريهة كلها .. إن غير السام منها يثير الهلع ، وهذا

سبب كاف لقتله .. لقد دسسته بحدائى ثم كدت أبتز

ساقى تقززاً بعدها .. »

كتب بعض الكلمات على الأزرار أمامه ، ثم هز

رأسه شاكرًا لى ، وقال إنه سيتصل بى حتمًا لمزيد  
من الأسئلة :

- « هذا ديدن برامج الذكاء الصناعى .. إن الكمبيوتر  
يتعلم من أخطائه ويزداد حكمة مع كل تشغيل .. التجربة  
التالية ستكون أكثر دقة .. وهكذا دواليك .. »

- « لكنى لن أكون فيها .. »

- « بالتأكيد .. لا بد من موضوع جديد نقوم  
بقياسه .. »

نهضت لأصرف ، ثم قررت أن أسأله واحدًا من  
أسئلتى الغبية :

- « ما جدوى هذه التجربة ؟ »

- « المعرفة ! »

قالها ببساطة كأنما كان يتوقع السؤال ، وأردف :

- « .. المعرفة من أجل المعرفة .. هدف كاف فى

حد ذاته .. مثلما دعا ( ليلوش ) إلى الحياة للحياة ..

وأعتقد يا د. ( علاء ) أنك أنكى من أن تسألنى عن

فائدة جهاز يقرأ المشاعر .. »

سؤال غبى آخر :

- « حقًا .. ما فائدة جهاز يقرأ المشاعر ؟ »

ابتسم لهذا التحدي ، وقال :

- « سنفهم الكثير عن فسيولوجيا الجهاز العصبي ،

ونتعلم كيف يشعر من لا يجيدون التعبير عن أنفسهم ..

هل هذا كاف ؟ »

- « مؤقتاً .. »

واستدرت مغادراً المكان ، شاعراً بنظراته الباردة

على مؤخرة رأسي .. وتمنيت ألا أسمع عنه لفترة

لا بأس بها ..

★ ★ ★

تذكر .. أن الأخ الأكبر يراقبك ..

★ ★ ★

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)  
Hany3H

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)



## ٥ - أحدهم قتل أحدهم ..

الضوضاء المعتادة ...  
أقدام في الردهة .. ثرثرة .. صرخات .. كلام بكل  
اللغات في برج ( بابل ) هذا الشهير باسم ( سافارى ) ..  
غادرت عيادة الأنف والأذن مع د. ( بوتسو ) ،  
ونظرنا في غياب إلى ما يحدث .. وكل مصائب  
( سافارى ) تتخذ دوماً المظهر ذاته ، ولربما تدور  
الأحداث بالسرعة ذاتها وتقال الكلمات ذاتها ..  
تبادل حديثاً سريعاً مع طبيب إيطالى يعبر الردهة ،  
وبالطبع لم أفهم منه حرفاً .. ثم قال لى مفسراً ..

- « جنّة فى خزّانة التّنظيف ! »

هكذا إذن ! حمداً لله .. حسبت الأمر خطيراً ..

ولكن ...

جنّة ؟ جنّة فى خزّانة التّنظيف ؟ وفى ( سافارى ) ؟

يبدو الأمر عسيراً على التصديق ..

انطلقت أركض فى الممر باتجاه الراكضين المهرولين .

وأخيراً وجدت الخزانة المذكورة .. كانت أقرب إلى  
باب خشبي في الجدار ، وقد فتح هذا الباب فسقطت  
منه بعض المكاسن على الأرض .. واستطعت أن أرى  
شيئاً ما .. شيئاً يبدو كجثة ولا يتحرك كجثة .. إنه  
جثة دون شك .. جثة عملاق زنجي أصلع الرأس ،  
وقد أدركت دون عسر أنه مقيد اليدين وراء ظهره ..  
كان الزحام كثيفاً ، ومن العسير أن تتبين إلا لمحة  
وسط الرعوس ، التي تسد عليك مجال الرؤية في كل  
ثانية ، حتى تذكرت الصحفيين إذ يحاصرون وزيراً ذا  
نفوذ ، فتري أحدهم يرفع الكاميرا فوق الرعوس  
ليلتقط صورة عشوائية كيفما تكون ..

أخيراً وجدت موطناً لقدمي وعيني ..

هأنذا أتبين رجلى أمن إفريقيين يجثوان على  
ركبتيهما جوار الجثة ، ويتحسس أحدهما البيض ثم  
يرفع رأسه ليقول في أسي :

- « إنه ميت ! »

يا سلام ! يا لها من عبقرية ! حقاً ميت ولكن

متى ؟

إن قواعد الطب الشرعي الصارمة تقول :



إنه جشة دون شك .. جشة عملاق زنجي أصلع الرأس ،  
وقد أدركت دون عسر أنه مقيد اليدين وراء ظهره ..

- جسم دافئ ولا تصلب : الموت تم منذ أقل من  
ثلاث ساعات .

- جسم دافئ مع تصلب : الموت حدث منذ ٣ - ٨  
ساعات .

- جسم بارد مع تصلب : الموت حدث منذ ٨ - ٣٦  
ساعة .

- جسم بارد ولا تصلب : الموت حدث منذ أكثر من  
٣٦ ساعة .

- التعفن : الموت حدث منذ يومين إلى ثلاثة .

لماذا أقول هذا ؟ لأننى - من موضعى البعيد وسط  
الزحام وبخبرتى الضئيلة - استطعت أن أميز التصلب  
الرمى .. ومعنى هذا أن الموت تم منذ ثلاث ساعات  
إلى يوم ونصف .. ومن الواضح أن الجثة باردة ..  
لونها يؤكد هذا .. إذن مات التعس منذ يوم تقريباً  
أو أقل ..

وحتى من هذا الموضع استطعت أن أعرف الرجل ..  
هل تذكرتموه ؟ إنه ( موزنجا ) .. ضابط الأمن  
الكاميرونى الذى يذكره كل من قرأ رواية ( الحريق ) ..  
العلاق الأسود المتألق الذى يتضح بعطر دسم خائق

- أشم رائحته من هنا - والذي لم يكف عن اتهامى  
بإشعال الحرائق ..

الأمر واضح الآن .. هناك جريمة .. فليس من  
المعتاد أن يسجن المرء نفسه فى خزانة التنظيف ..  
ولكن كيف ؟

رأيت البروفسور ( بارتلييه ) يشق الطريق وسط  
الزحام ، حريصاً على أن يحتفظ بكل أجزاء جسده  
البدن فى مكانها .

كان الجدّ والهَمّ على وجهه .. ولا ألومه أبداً ..  
كل المديرين يمقتون أن تتم الجرائم - خاصة القتل -  
فى المؤسسات التى يديرونها .. ولا أدرى سبباً لذلك  
فى الواقع ..

انحنى يتفحص الجثة المقيدة والحسرة تغمر  
ملامحه ، ثم مَدَّ يده ليلتقط شيئاً جوار الجثة .. كان  
كيساً من البلاستيك الشفاف .. رفعه ، وهنا قال له  
أحد رجلى الأمن شيئاً فألقاه على الأرض وهز رأسه  
معتذراً .. طبعاً أمره بالألا يفسد البصمات ...

وبعينين لا تريان راح ( بارتلييه ) يتفقد الوجوه  
الفضولية حوله ، ثم قال مقسراً لئلا أحد :

- « اختناق ! لقد قيد القاتل يديه ثم وضع الكيس على رأسه كي يخنقه ! »

تصاعدت شهقات الرعب من الجميع ..  
وتقلصت أمعاني لهول الفكرة .. إنها لميتة بشعة حقاً ، يبدو إطلاق الرصاص على الرأس نوعاً من التذليل مقارنة بها ..

ولكن لماذا ؟

لماذا يقتل إنسان ( موزينجا ) ؟ ولماذا يقتله بهذه الطريقة الشنيعة ، في حين يكفي مسدس صغير لإنهاء الموضوع ؟ ثم كيف يستطيع إنسان أن يقيد ( موزنجا ) ويجره إلى هذا المكان ؟

ربما كان المدير يعرف أكثر ..

★ ★ ★

لكن المدير لم يطلب رأيي ولم يخبرني بما يعرفه .. هذا متوقع طبعاً .. فلست من القيادات المهمة في ( سافاري ) ، أو أولئك الذين يجب وضعهم في الصورة .. أنا مجرد ترس يعمل في آلة عملاقة ، ولا أمثل سوى واحد من مائة من عالم المدير واهتماماته ..  
إننا نعطي أنفسنا أهمية أكثر من اللازم لمجرد أننا

نحن .. نتصور أن العالم لم يُخلق إلا ليحيط بنا ،  
والأرض لم تُخلق إلا لنمشي عليها ، والسماء لم  
توجد إلا لتجد ما نراه حين ننظر لأعلى ..  
حقاً لم يخبرني المدير بشيء لكني سمعت إشاعات  
متناثرة ..

لقد هوجم ( موزنجا ) من الخلف ، تلقى ضربة  
على مؤخرة رأسه أفقدته الوعي ثم جرّه القاتل جراً  
إلى هذا السجن .. بعدها أحكم تقييده ووضع الكيس  
البلاستيكي فوق رأسه ليخنقه ..

ولكن لماذا انتزع الكيس بعد انتهاء مهمته ؟  
لم يجد أحد تفسيراً لذلك ، كما لم يجد أحد تفسيراً  
لهذه الميئة البشعة .. يبدو أن عصر الطلقة في  
الرأس ، والطعنة بين لوحى الكتف قد انتهى .. وياله  
من عهد سعيد بالنسبة لما نحن بصدده !

★ ★ ★

في المساء ذهبت للقاء ( آرثر شيلبي ) - بكسر  
الشين وتسكين اللام - كى أخوض معه بحار  
( الإنترنت ) ..

كنت قد تعلمت أسلوب صيادي اللؤلؤ الكويتيين في

دخول هذه الشبكة : آخذ نفساً عميقاً .. أغطس عشر دقائق .. ثم أصعد إلى السطح كي أصنف ما استخرجت من لآليء ..

ومع الوقت ازددت كفاءة وسرعة ، وصرت أستهلك دقائق أقل في البحث عما أريد ..  
- « لا بأس .. لا بأس .. أنت تتحسن أيها الشاب .. »  
قالها ( شلبي ) وهو يتأمل ما أخرجته له الطابعة من مقتطفات علمية جلبتها له .. كان يفتش عن بعض أنواع ( الأميبا ) التي تهاجم الجهاز العصبى ، ولم يكن واثقاً من وجودها فى ( الكاميرون ) .  
قلت دون أن أنظر إليه :

- « إن العرب يتعلمون سريعاً .. كأنما يحاولون تعويض الفجوة الحضارية فى أقصر وقت ممكن .. بالمناسبة .. هذا الحاسب الآلى يعتبر لعب أطفال إذا قورن بالحاسب الخاص بـ ( دويون ) .. »

- « تباً له من مخبول ! »  
ابتسمت وسألته متحققاً :

- « هل حدث شىء جديد ؟ »  
- « لقد طلب منى أن أسمح له بتجربة جهازه على



مرضى الملاريا المخيئة .. تصوّر هذا؟! مريض فى  
غيبوبة يوشك على لفظ آخر أنفاسه ، ثم يجيء الأخ  
(دوبون ) ليضع على رأسه طوق الكلاب الحديدى  
هذا .. »

- « ووافقت ؟ »

- « بالطبع لا .. فليجرب ما يريد بعيداً عن  
مرضائى .. »

- « لكنك قلت إن الجميع سخر من الأخوين ( رايت )  
و ... »

- « حتى ( هومير ) يحنى رأسه .. ألم تسمع بهذا ؟ »  
هنا - كالعادة .. دوى صوت مكبر الصوت يستدعيني  
لغرفة المدير .. شهقت فى أسى ، ونهضت كى ألق  
بالنداء ..

قال ( شلبى ) :

- « من جديد ؟ هذا الرجل متيم بغرامك .. »  
- « بل أنا فى متناول اليد أكثر من اللزم .. قريباً  
سيطلب منى أن أحكى له حدوتة ما قبل النوم .. »  
وغادرت المكان وأنا أتساءل عن سبب الاستدعاء  
الجديد ..

★ ★ ★

من اللحظة الأولى عرفت أن الأمر خطر ..

كان المكتب زاخراً بالرجال السود - سود الثياب  
والوجوه والأفكار - تلتهم جلودهم في الضوء الخافت ،  
ولا يبدو على استعداد للمزاح ..

قال لي بروفيسور ( بارتلييه ) وهو يدون شيئاً في  
ورقة :

- « اجلس يا ( علاء ) .. »

لم أجد مقعداً خاوياً ، لكني آثرت عدم الاعتراض ،  
لهذا جلست شبه واقف على مسند أريكة جوار أحد  
الضيوف ..

لا حاجة للسؤال .. هؤلاء القوم رجال شرطة  
جاءوا من ( أنجاواتيرى ) ، وكلهم شكوك وقلق ..  
وفي الغالب يجرون استجواباً عاماً .

أخيراً تكلم البروفيسور .. قال :

- « هؤلاء السادة جاءوا للتحقيق في مقتل  
( موزنجا ) ، وإبنى لأتوقع منك أقصى تعاون ممكن .. »  
سألني أحدهم ، وهو رجل نحيل أشيب :

- « متى رأيت ( موزنجا ) آخر مرة

ياد . ( عبد العظيم ) ؟ »

- « كان هذا وهو ميت طبعاً .. وبالطبع لم تتبادل  
محدثات ذات قيمة كما لا يغيب عن ذكائكم .. »  
- « بل أعنى متى رأيتَه آخر مرة حياً ؟ »  
حككت لحيتي مفكراً :

- « ربما منذ ثلاثة أسابيع .. إن الفقيد لم يكن  
متوفراً ، ثم إنه لم يكن صديقي ، وبرغم وفاته  
مازلت أعتبره أحمق كبيراً .. »  
بدت الدهشة مع بعض الامتعاض على وجهه ،  
فقلت مفسراً :

- « لا أستطيع أن أغير رأبي فيه ، وأعتبره ملاكاً  
نبيلاً عبقرياً لمجرد أنه مات .. فالموت شيء لا فضل  
لأحد فيه .. »

ابتسم وتبادل نظرة مع من حوله ، ثم قال :  
- « أشكرك لصراحتك .. لكنني أتساءل عن ذات  
الشيء : هل حقاً كانت علاقتك سيئة مع الفقيد ؟ »  
إذن فالأمر هكذا ..

يحاولون توريطي في التهمة ما داموا لا يجدون  
متهمين .. وكأن عدم الاستظراف سبب كاف للقتل ..  
نظرت للبروفسور ( بارتلييه ) نظرة من نوع

( هل - سمعت - هذا - الكلام - المخبول ؟ ) .. فبادلتني  
نظرة من نوع ( ليس - بوسعى - عمل - شيء -  
كى - أساعدك ) ..

صحت فى افعال وقد بدأ الموقف يستفزنى :

- « متى كان الفتور مبرراً للقتل ؟! »

- « ومتى كان دليلاً على البراءة ؟! »

قالها رجل الشرطة الكاميرونى فى تلذذ بانتصاره ،  
لكن منطقہ معكوس .. الناس ليسوا متهمين مطالبين  
طيلة الوقت بإثبات براءاتهم .. لكنهم يمزحون دون  
ريب .. يوجهون طلقاء عمياء فى الهواء أملاً فى أن  
تصيب أحداً ..

قال لى وقد رأى ثورتى :

- « لا تفعل يا د. ( عبد العظيم ) .. فليس عملنا

هو إرسالك إلى الجحيم ، بل عملنا هو البحث عن

الحقيقة .. »

- « إذن دعنى أسمع كلاماً يحوى ذرة منطق .. »

مدّ يده فى جيب سترته ليخرج مظروفاً سميكاً هائل

الحجم ، لا أدرى كيف وضعه هناك .. وقال :

- « البصمات .. هل تؤمن بها ؟ »

- « أية بصمات ؟ »

فتح ورقة مطوية أخرجها من المظروف ، وقال :

- « بصماتك ! لقد وجدناها على الكيس البلاستيكي

الذي اختنق به ( موزنجا ) ! ترى هل تفهم حقاً معنى

هذا !!؟ »

★ ★ ★

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)

Hany3H

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)

## ٦ - متهم !!

تذكر .. إن الأخ الأكبر يراقبك !

★ ★ ★

قال الشرطي في وقار من يملك أدلة لا تدحض :  
- « كان علينا أن نرفع البصمات من على الكيس  
البلاستيكي ، ونقارنها ببصمات العاملين في ( سافاري )  
من واقع ملفاتهم .. وكان ما قاله خبير البصمات  
لا يمكن تفتيده .. البصمات بصماتك .. ولديك دافع  
ربما كان باهتاً واهياً ، لكن بصماتك ستجعله قوياً .. »  
- « إذن فخبير بصماتكم أبله .. »

- « هذا ما تقوله أنت .. ويقوله كل متهم .. »  
نهضت في جنون ، والتفت إلى البروفسور  
( بارتلييه ) :

- « بروفسور .. هل تصدق هذا السخف ؟ »  
عقد كفيه في استسلام وقال :  
- « هذا السخف تدعمه حقائق يا ( علاء ) .. »

المشكلة هي أن تبرهن لنا على كيفية وصول بصماتك إلى الكيس ، ما دمت لم تخنق الرجل ، ولم تنزع الكيس من حول رأسه .. »

كانت للرجل عادة زميمة هي أنه لا يحميك أبداً .. تحيط بك الأخطار وتحاصرك السباع ، لكنه يكتفى بعقد أصابعه والهرب بنظره إلى مكان آخر ..  
حقاً إنه لمأزق !

أنا في وسط أحداث لا أعرف عنها أدنى فكرة .. كابوس من كوابيس ( كافكا ) القاتمة ، حيث الإنسان محكوم عليه بالإعدام لتهمة لا يملك أدنى فكرة عنها .. كيف وصلت بصماتي إلى هذا الكيس اللعين ؟ قال الشرطي وهو يفتح سترة بذلته ، كاشفاً عن مسدس فاخر الشكل ، يتدلى جوار خاصرته ( وهي رسالة بليغة جداً ) :

- « والآن أجد أنني مضطر لاعتقالك يا سيدي .. وهذا باسم القانون .. »

قررت ألا أستسلم بسهولة .. سأركله ثم أوجه لكمة للجالس جواره ، وأفقاً عيني الواقف خلفه ، ثم أثب لأهشم زجاج النافذة ، وأفتح سياراتهم الواقفة

تحتها ، فألقى بالسائق خارجاً .. ثم أتدفع هارباً من  
( سافارى ) لأقضى حياتى بين الأحرار ..  
طبعاً كلها خواطر صبيانية ، لا محل لها من الإعراب ..  
ما دمت لست ( رامبو ) فلاكن ( غاتدى ) ،  
ولأنهض فى سماحة ووقار أتقدمهم نحو الباب ، واضعاً  
نفسى تحت تصرفهم ..

قلت للبروفسور ( بارتلييه ) وأنا أنصرف :  
- « هل يمكنك إبلاغ السفارة المصرية ؟ أريد  
مندوباً منهم فى أثناء التحقيق .. »  
قال فى كرم مبالغ فيه :

- « بالتأكيد .. ولسوف أرسل لك محامياً مع  
مستشار ( سافارى ) القانونى .. لا تخش شيئاً ..  
أنت لست وحدك .. »  
حقاً لست وحدى ..

عرفت هذا فى سيارة الشرطة ، وأنا أجلس فى  
المقعد الخلفى بين عملاقين من السود ، ولحسن الحظ  
لم يكبلونى بالأصفاد ، لأن هذا كان السيل الذى سيبلغ  
الزبى .. خاصة وكل عاملى ( سافارى ) يحتشدون  
فى مدخل الوحدة وفى الشرفات ، ليروا ذلك الوغد  
الزنيع الذى نال جزاءه : أنا ..



كنت بعد في حالة من الذهول التام ..  
منذ ساعة كنت جالسا مع ( آرثر شلبي ) نجرى  
بحثا علميا ، والآن هأنذا متهم بالقتل وفي طريقى إلى  
المخفر فى ( أنجاواتديرى ) ..

تم كل هذا بسرعة وقسوة لا تصدق ..  
لهذا فهمت مشاعر الدجاجة التى تتسلى بالتقاط  
الخب ، ثم بعد ثوان تجد نفسها مقيدة وتصل السكين  
على عنقها ، ثم بعد ساعتين تصير طبقا ساخنا على  
مائدة ما ، ولربما تتحول إلى ذرات فى جسد كائن  
آخر بعد ساعات أخرى .. كائن أكبر وأقوى منها ..  
إن الذهول منقض لا محالة ..

لسوف يزول ارتباك فكرى ، عندها أعرف مدى  
الكارثة التى أنا فيها ..



أمضيت يومين فى المخفر ..  
وهنا أعبر عن امتناتى الشديد لحالة الذهول التى  
كنت أحيها ، فهى التى جعلتنى لا أشعر باتصرام  
اليومين ..

كان مخفر الشرطة قذرا .. و ( التخشبية ) التى

وضعونى فيها ملأى بالبق ، وتفوح جدرانها برائحة  
البول .. كما كانوا يقدمون لى وجبتين فى اليوم من  
مزيج كريبه ما ، ربما كان جذور ( الكسافا ) المسلوقة ..  
يومان كاملان لم أر فيهما أحداً ، ولم يرنى أحد  
سوى السجنان الإفريقى البدين متجهم الوجه ..  
وفى مساء اليوم الثانى جاءنى من يدعى ( أحمد  
نصير ) من السفارة المصرية فى ( ياوندى ) ،  
ونصحنى بأن أتشجع .. فوعده ..  
بعدها جاءنى محام بلجيكى يدعى ( بيير لوزى )  
قال لى : إن القضية مهلهة تماماً ، وهو سيعرف كيف  
ينسفها نسفاً .. ونصحنى بأن أتفعل فوعده ..  
فى الصباح استدعونى إلى مكتب حاز كالجحيم ،  
تهدر به مروحة متداعية ، ويجلس به طاووس متبختر  
فخور بثيابه العسكرية .. أجرى معى بالفرنسية  
تحقيقاً سريعاً .. وكان من الواضح لهؤلاء القوم أننى  
القاتل .. فقط يحتاج الأمر إلى ضغط نفسى أكثر ،  
وبعض الركلات والصفعات والحروق بطرف السجارة  
المشتعل .. لكن ما كان يمنعهم - لسوء حظهم - هو  
أننى أجنبى مرتين .. مرة لأننى مصرى .. ومرة لأننى  
عامل فى جهاز دولى له احترامه مثل ( سافارى ) ..



وفى مساء اليوم الثانى جاءنى من يدعى (أحمد نصير)  
من السفارة المصرية فى (ياوندى) ...

أخيراً جاء المحامى البلجيكى ، وقال كلاماً كثيراً  
عن أدلة الشرطة الواهية ، وعن الدليل الوحيد الذى  
هو بصمات على كيس بلاستيكى ، وعن إجراءات  
القبض على الخاطنة .. إلخ ..

المهم أننى نجحت فى الحصول على إفراج مؤقت  
عنى .. وبالطبع دفعت ( سافارى ) كفالة لا بأس بها ..  
وهذا هو الوضع الوسيط ما بين النار والماء .. فلا أنا  
حرّ أتقل كيفما شئت ، ولا أنا سجين ينتظر الإعدام  
والبلاهة على سحنته ..

وعدت إلى الوحدة بعد ثلاثة أيام ..

★ ★ ★

كانوا جميعاً هناك يرحبون بى ، ويقولون لى كلاماً  
بكل اللغات ، له مذاق عبارة ( كفارة يا رجل ) التى  
نقولها فى مصر للخارجين من التأييدة ..

وحيتنى ( برنادت ) بأسلوب ( التشنكية ) المعهود ،  
وقالت وهى تلمح ساعدى :

- « مرحباً ( علاء ) .. كنت أعرف أنك ستعود

سالمًا .. »

- كان هناك احتمال لا بأس به ألا أفعل .. »

وقال ( بسام ) وهو يلثمنى على خدئى كعادتنا نحن  
العرب :

- « حمداً لله على سلامتِكَ .. هل لديك ارتباطات  
الليلة ؟ إن الأمر يحتاج إلى حفل صغير .. »  
قلت له باسمًا :

- « ارتباطات ؟ لا أظن .. ليس على خنق بعض  
ضباط الأمن السود هذه الليلة .. إن هذا يستغرق وقتاً  
كما تعلم .. »

لكنى وسط الوجوه الضاحكة المرحة كنت أردد  
لنفسى :

- « لم تنته أزمته يا فتى .. ما زلت متهماً .. وما زال  
ظلٌّ من الشك يحيط بك .. كلهم يرحبون بك لكنك  
وحيد .. وحيد .. هناك من يملك تفسيراً لكل ما حدث ..  
وهناك من سيدفع الثمن باهظاً .. »

★ ★ ★

وتوجهت أول ما توجهت إلى مكتب ( الزعيم ) كى  
أخبره أنتى لم أعدم بعد .. وكان البروفسور ( بارتلييه )  
عاكفاً على كتابة بعض المذكرات ، حين رأى فقال  
فى مزح :

- « هأنذا أيها الشاب ! لظالما نصحتك بالإمتناع  
عن قتل الناس .. »

- « العادات القديمة تموت بصعوبة يا سيدي ..  
نسيت أنه ينبغي أن أشكرك على دعمك لي في أثناء  
الأزمة .. »

- « لا تقل شيئاً .. فالأزمة لم تنته بعد .. اجلس  
بحق السماء .. »

جلست شاعراً للمرة الأولى بأنتى أحب هذا المكتب ،  
وكنت أحسب أنتى لن أراه ثانية .

قال المدير وهو يفتح علبة مياه غازية ، محدثاً ذلك  
الصوت ( بلوب ) المحبب للنفس ، ثم يناولنى إياها :

- « اشرب .. الواقع يا ( علاء ) أن أمامنا حقيقة  
يجب أن نجد لها تفسيراً قبل أن نتحدث عن حماقة

الشرطة هنا .. كيف وصلت بصماتك إلى الكيس ؟ »  
جرعت جرعة جعلتنى أتجشأ ، وقلت :

- « بورب ! معذرة ! لا أدري .. كل ما أعرفه هو  
أنتى لم أفعّلها .. »

- « وماذا تقول لو أخبرتك أن لدى علامة استفهام  
أخرى لم أصرح الشرطة بها ؟ »

- « وما هي ؟ »

فتح علبة أخرى لنفسه ، وجرع جرعة وقال :  
- « إنها علامة استفهام لا تقنع أية محكمة .. لكنها  
تثير تساؤلي .. هل تذكر تجربة ( دوبون ) على  
دماغك ؟ »

- « طبعاً .. »

- « في الساعة ١٠ : ٤ من مساء اليوم الثاني من  
التجربة الثانية .. يقول ( دوبون ) إنه رأى موجات  
شاذة غريبة لم يعهدها قط في دماغك ..  
ولما سألك عرف أنك كنت تقتل شعباناً بحدائك ..  
هل هذا صحيح ؟ »

هزرت العلبة بيدي ، وقلت في عدم فهم :

- « صحيح تماماً ... ولكن ... »

قاطعني قائلاً :

- « في الساعة ٣٠ : ١٠ صباح اليوم ذاته وجد  
( دوبون ) الموجات ذاتها .. لكنك لم تعط تفسيراً  
قط .. يرى ( دوبون ) أنك كنت تقوم بعمل يحدث ذات  
الانفعالات والمشاعر .. بعبارة أخرى : كنت تقوم  
بنوع من قتل الشعبين بالحداء !

★ ★ ★

## ٢- جزء مفقود ..

- « بوش ش ش ا »  
نفخت فمي فاتبعثت نافورة من المياه الغازية لتبلل  
معطفي ، شأني شأن من يُفاجأ بنبا غريب وقمه مليء ..  
نهضت وأخرجت منديلي ورحت أجف ما أحدثت  
من فوضى ، وقلت للبروفسور :

- « معذرة .. معذرة .. لكنك فاجأني ! »

- « هذا متوقع .. »

عدت للجلوس قائلاً في غيظ :

- « إذن فهذا المعتوه .. هذا الأحمق .. هذا الـ .. »

- « حاول أن تهدأ فأنت ترتجف غضباً .. »

- « هذا الوغد هو من جعلك ترتاب بي .. إن

طريقته ما زالت أبعد ما تكون عن الدقة ، وليس من

الذكاء أن تعتمد عليها في اتهام بريء .. »

جرع جرعة أخرى من علبته وقال :

- « هذا حق .. لكنها علامة استفهام عليك أن



تفسرها .. ماذا كنت تفعل بالضبط في الساعة ٣٠:١٠

من اليوم الثاني للتجربة ؟ »

- « لا أذكر .. لكنى لم أكن أختق (موزنجا) وقتها

بالتأكيد .. »

ونَهضت لأتصرف فناداني محذراً :

- « (علاء) .. قيل أن تتصرف .. لا أريد بحال

أن تذهب إلى (دوبون) لتصارحه بحماقته ..

المفترض أنني لم أصارحك بشيء .. وأنا أعرف أنك

مندفع مولع بالشجار .. فلا تجعلنى أندم ! »

هزرت رأسى .. فلم يكن هذا فى نيتى على أى

حال ..

لقد كان (بارتلييه) مخطئاً .. فأنا لا أجيد الشجار

على الإطلاق ، بل أجيد الضرب .. ومعنى أن أذهب

لمواجهة (دوبون) الآن أن أوسعه ركلاً ولكمًا ..

ولا أريد أن أطرده من (سافارى) أو أسجن بقية

حياتى من أجل أحمق كهذا ..

سيكون على أولاً أن أجمع الأدلة ثم أواجهه .

يجب أن أتذكر .. يجب ..

★ ★ ★

ماذا كنت أفعله ذلك اليوم في العاشرة والنصف صباحاً ؟

رجعت لمفكرتى التى كنت أدون فيها أحداث اليوم ، فوجدت أننى دخلت غرفة الجراحة فى العاشرة لأساعد د. ( ألفرد ) الجراح الدايمارى فى استئصال سرطان قولون .. طبعاً كان دورى هو ( غالق جلد ) لا أكثر ، وهو دور أقوم به أكثر الوقت بحكم صغر سنى .. طبيعى ألا أجد أى شىء عن الجراحة فى مفكرتى .. لم أدون حرفاً حتى الحادية عشرة صباحاً .. بالطبع لأننى كنت ارتدى ثياب الجراحة وفى ظروف تعقيم كاملة صارمة ..

ماذا حدث وقتها كى يحدث موجات غريبة فى ذهنى ؟

★ ★ ★

والحل موجود وبسيط ..

إن كل جراحات ( سافارى ) يتم تصويرها فى أثناء إجرائها ، عن طريق دائرة تلفزيونية مغلقة ، بعد هذا يُودع الشريط فى مكتبة مرئية مرقمة ومصنفة .. وبعد ستة أشهر يتم إعادة استخدام الشرائط ، حتى

لا تتمدد المكتبة أكثر من اللازم ، ولأسباب اقتصادية  
بحة ..

فقط الجراحات الغربية أو العبقريّة أو الخرقاء  
يحتفظون بشريطها للأبد ..

توجهت إلى مكتبة الفيديو ، حيث كانت الموظفة  
الأمريكية الزنجية ( جرتروود ) جالسة أمام شاشة  
الحاسب الآلى .. حينها ، وطلبت شريط الجراحة ..  
فقرعت بعض المفاتيح :

اليوم	الجراحة	الجراح	المساعد
الثلاثاء ٣/٥	سرطان قولون/ استئصال للقولون	د. ألفريد سيجورد	د. علاء عبد العظيم

رقم الشريط : C-15423#

مدته : ساعة و ٣ دقائق ..

سألتني وهي تلوك قطعة اللادن .

- « هل هذا هو الشريط يا عسل ؟ »

و ( عسل ) هي اللفظة التي يستخدمها الأمريكيون

بداع وبدون داع ..

ويلفظونها hon .. وليس معناها أنها متيمة بهواي ..

قلت لها وأنا أخذه لأعرضه في جهاز الفيديو :

- « هو الشريط يا حبوبة قلبي .. »

وعلى الشاشة رحت أرقب المشهد الذي أفتته تمامًا ،  
وكان مصورًا من علٍ مع الدنو بالعدسة لتظهر يدي  
الجراح في حقل الجراحة ..

رحت أضغط على زر تقديم الصورة ، كى أفوت  
اللقطات التي أذكرها جيدًا .. وكات هناك أجزاء لم  
أستطع تذكرها .. قلت لنفسى : إن هذا طبيعى ..  
فدورى لم يتجاوز توسيع حقل الجراحة أمام الرجل ،  
وملاحقة الشرايين النازفة الصغيرة التي يجرحها  
مبضعة ، كنت أقرب منها جهاز الكى ، ثم أدوس  
الدواسة الصغيرة تحت قدمى لتتصاعد أبخرة اللحم  
المحترق .. بالواقع كانت الجراحة أكثر تعقيدًا من  
قدرتى على المتابعة ..

وهنا - فى العاشرة والثلاث حسب التوقيت المطبوع  
على ركن الشاشة الأيمن - بدا أن هناك شيئًا ليس  
على ما يُرام ..

كنت أتروح .. تراجع الكاميرا لتظهرنى أتأرجح  
كدن ثقيل ، ثم أهوى أرضًا .. فوضى عامة ..  
الجراح يسبب بالداتماركية ، ثم يتساعل بالفرنسية :

- « ماذا دها هذا الأحمق ؟ »

طبيب التخدير يجثو بجوارى ، ويقول :

- « إنه مستجد .. لا بد أنه لم يتحمل كل هذه

الدماء .. »

- « إذن أخرجوه من هنا .. نادوا ( مكجريجور ) ..

فليعقم نفسه فوراً كي يساعدنى .. رباه ! ليس هذا

وقت المزاح ! »

فوضى أخرى .. واضح أن ثلاثة يحملوننى للخارج ..

قطع ... ثم عادت الصورة فى العاشرة وخمس

وثلاثين دقيقة ..

هذه المرة يمكن تمييز جسد ( مكجريجور ) طبيب

الجراحة المقيم الضخم ، ولهجته الأسكتلندية المميزة ..

ولم أعد أنا فى مسرح العمليات ..

أغلقت جهاز الفيديو وأعدت الشريط للمرأة ..

- « بهذه السرعة يا حبيبي ؟ »

نظرت لها عاجزاً عن فهم ما تقول .. أسمعها لكنى

لا أعيه .. هزرت رأسى وغادرت المكان ..

★ ★ ★

في الكافيتريا كان المحتفلون بانتظاري ، وكانت  
هناك كعكة صغيرة كتبوا عليها بالقشدة ( أول خطوة  
في عالم الجريمة ! ) .

وكانت هناك زجاجات جعة ، اعتذرت عنها شاكرًا  
وظللت بعض الليمون ، وراح أحد الثملين يغنى  
بصوت أجش :

- « لأنه رجل طيب .. ولا أحد ينكر ذلك .. »

أما ( برنات ) فقالت وهي تقطع الكعكة :

- « مرحبًا بعودتك يا ( علاء ) .. إن دخول أحد

أفراد ( سافاري ) السجن بتهمة القتل لأمر جدير  
بالاحتفال به ! »

وقال ( بسام ) وهو يصب لنفسه المزيد من

الليمون :

- « بحثنا عنك فوجدناك في مكتبة الفيديو .. ما سرُّ

هذا الحماس ؟ »

- « لا أحب تضييع الوقت دون تعلم .. »

كانوا يصخبون .. يمرحون .. يضحكون ..

لكن سمعي وذهني كانتا في أرض نائية .. أرض بلا

بشر ..

أرض تتناثر فيها تساؤلات بلا جواب ..  
ورحت أدعو الله أن ينهوا هذا التهريج سريعاً ،  
كى أنفرد بنفسى وأشعر بالذعر والحيرة ..  
إذن أنا لم أكن فى غرفة الجراحة فى العاشرة  
والنصف .. لقد غادرتها قبل ذلك بعشر دقائق ، إما لأننى  
فقدت الوعى ، وإما لأننى تظاهرت بفقدان الوعى ..  
لماذا ؟ وكيف لا أذكر عن هذا الموضوع حرفاً ؟  
إذن هناك جزء من يومى لم أدر عنه شيئاً ، وهذا الجزء  
يمكن أن أكون قد فعلت فيه أى شىء .. أى شىء ..  
إن المدير صادق و ( دوبيون ) صادق ..  
لقد فعلت شيئاً لا أدرى كنهه ، لكنه سبب لى ذات  
المشاعر التى سببها قتل الثعبان بالحداء .

★ ★ ★

وفى غرفتى - حين انتهت السهرة أخيراً - قمت  
بتشغيل جهاز طرد الأرواح الشريرة .. أعنى مروحة  
السقف طبعاً ، ووقدت على الفراش أنظر إليها وأتساءل ..  
ترى ماذا دهاتى فى ذلك اليوم ؟  
لقد رأيت جراحات أكثر شراسة بمراحل ، ولم أكن  
مرهقاً أو مريضاً فى ذلك اليوم .. بمعنى آخر :  
لا يوجد سبب لفقدى الوعى ..

إذن أنا تظاهرت بفقد الوعي .. أو تدخل مؤثر  
خارجي ليجعلنى أفقد وعيى .. بعد هذا حملونى إلى  
الاستراحة بالخارج ، وصفعوا خدى قليلاً أو رشوا  
وجهى بماء بارد ..

لابد أننى فتحت عيني وقلت شيئاً ..  
عندها تركونى وعادوا إلى عملهم ، ونسوا كل  
شئ عني ..

الآن صار بوسعى أن أغادر قسم الجراحة .. أهبط  
فى الدرج .. أبحث عن ( موزنجا ) .. أقتله .. لن  
يستغرق هذا سوى نصف ساعة ..

حادث فقدان الوعي حادث تافه يتكرر كثيراً ، ولن  
يتذكره أحد فى أية تحقيقات ما لم يتم استجواب طاقم  
الجراحة ، أو استعراض شريط الفيديو كما فعلت أنا ..  
لقد صارت الفكرة ناضجة فى ذهنى ، ولم أعد  
بحاجة إلى زجاجة ( كولا ) كى أستطيع ابتلاعها ..  
أنا قتلت ( موزنجا ) ..

لكن لماذا فعلتها !؟

★ ★ ★



## ٨ - اجعلهم يشعرون ..

طرقت الباب مرتين حتى رد ..  
فتح فامتقع وجهه للحظة كأنما يرى الشيطان ، ثم  
تهلّل - كالعادة - ودعاني للدخول ..  
كان الحاسب الآلي مفتوحًا ، وعليه تخطيط  
الموجات المعهود .. وقد أعدّ لنفسه قَدْحًا من القهوة  
يتصاعد الدخان منه ، وجواره ( بلوك نوت ) وقلم  
كأنما كان يدوّن بعض الملاحظات ..  
جلست دونما استئذان ، وبعد هنيهة سألته :  
- « كيف حال ( الأخ الأكبر ) ؟ »  
- « يراقبك ! »

قالها في بساطة ، وصبّ لي بعض القهوة .. قهوة  
الفرنسيين اللعينة ، عديمة المذاق واللون والرائحة ،  
والمصيبة أنهم يضعون القشدة عليها .. رشفت رشفة  
من هذا الشيء ، ورحت أتأمل الشاشة ..  
كان هناك شريط أدوات أسفلها ، كتبت عليه

ضروب عدة من المشاعر مثل ( التوتر - النشوة -  
الشبع - الجوع - الصداق ) ، بحيث يمكنه تحريك  
مؤشر ( الفأرة ) ليختار أى نوع منها ..  
سألته :

- « لا بد أنك تملك مكتبة هائلة من الأحاسيس  
الآن .. »

هز رأسه بحماسة ، واتحنى يعبث بالفأرة هنا  
وهناك ، حتى فتح لى قائمة تحوى ما يملك ، وكان  
اسمها كما توقعت هو ( مكتبة المشاعر ) ..  
رحت أطالع الأسماء ذاهلاً .. ( تَفَاوُل ) .. ( اِكْتَاب ) ..  
( تَأْيِيبِ ضَمِير ) .. ( لَذَّةٌ سَادِيَّةٌ ) ( نَدَم ) ..  
يالها من دقة !

وقعت عيناي على عنوان مهيب كتبه بحروف  
( كابيتال ) ليبدو أكثر وضوحاً من سواه ، وبلون أسود  
كثيف : ( مكتبة الاحتضار ! ) ..  
سألته وأنا أدقق فى ملامحه :

- « هل ظفرت بمشاعر محتضر ؟ »

- « حيوانات نعم .. لكنى لم أظفر بها فى الإنسان ..  
هناك حمقى كثيرون يجدون وضع طوق حول رأس  
محتضر أمراً غير أخلاقى ومنافياً للدين .. »

- « وهم محقون ! »

كنت أدرك أنه يقولها لاستفزات مشاعري ؛ ليري  
بطلقة اختبار المدى الذي يمكن أن أتسامح فيه ..  
لكني أحرصته ..

هز رأسه وابتسم كمن يرى طفلاً يتحامق ، وقال :  
- « هناك عالم يابتي وضع رجلاً يحتضر على كفة  
ميزان عملاق ، وقارن بين وزنه بعد وقبل الاحتضار ..  
ثم أعلن أن الفارق يساوي الروح ؛ ووزنها كذا من  
الميكروجرامات ! هل سمعت عن هذا (\*) ؟ »

تقلص وجهي استبشاعاً للفكرة ، وقلت :  
- « أعوذ بالله ! هذه تجربة تجمع بين التجديف  
والقسوة .. وهل الروح لها وزن ؟ »

ابتسم من جديد ، وقال :  
- « بالطبع كان قياسه خاطئاً .. لم يضع في اعتباره  
عوامل البخر من الجلد ، وما إلى ذلك .. وهذا ما جعل  
الوزن أقل بعد الوفاة .. أنا لا أبرر عمله ، لكني أقول :  
إنه من المسموح به وضع طوق حديدي حول رأس  
رجل يموت .. »

---

(\*) تجربة حدثت فعلاً ..

- « وما جدوى هذا ؟ »

- « إن فهم ميكانيزمات الموت لهو أساس علم وظائف الأعضاء .. لقد نشأ علم الفسيولوجى لمحاولة فهم ما الذى يجعل مجموعة من ذرات الكربون والهيدروجين تحلم وتحب وتتحرك وتموت .. »  
ثم توقف قليلاً كمن يفكر هنيهة ..  
أخيراً قال لى :

- « أنا متردد فى إطلاعك على جزء مهم من التجربة .. لكن من حقك أن تعرفه ما دمت بدأت هذه التجربة معى .. »  
وداعب ( الفأرة ) قليلاً حتى وصل إلى مبتغاه ،  
وقال :

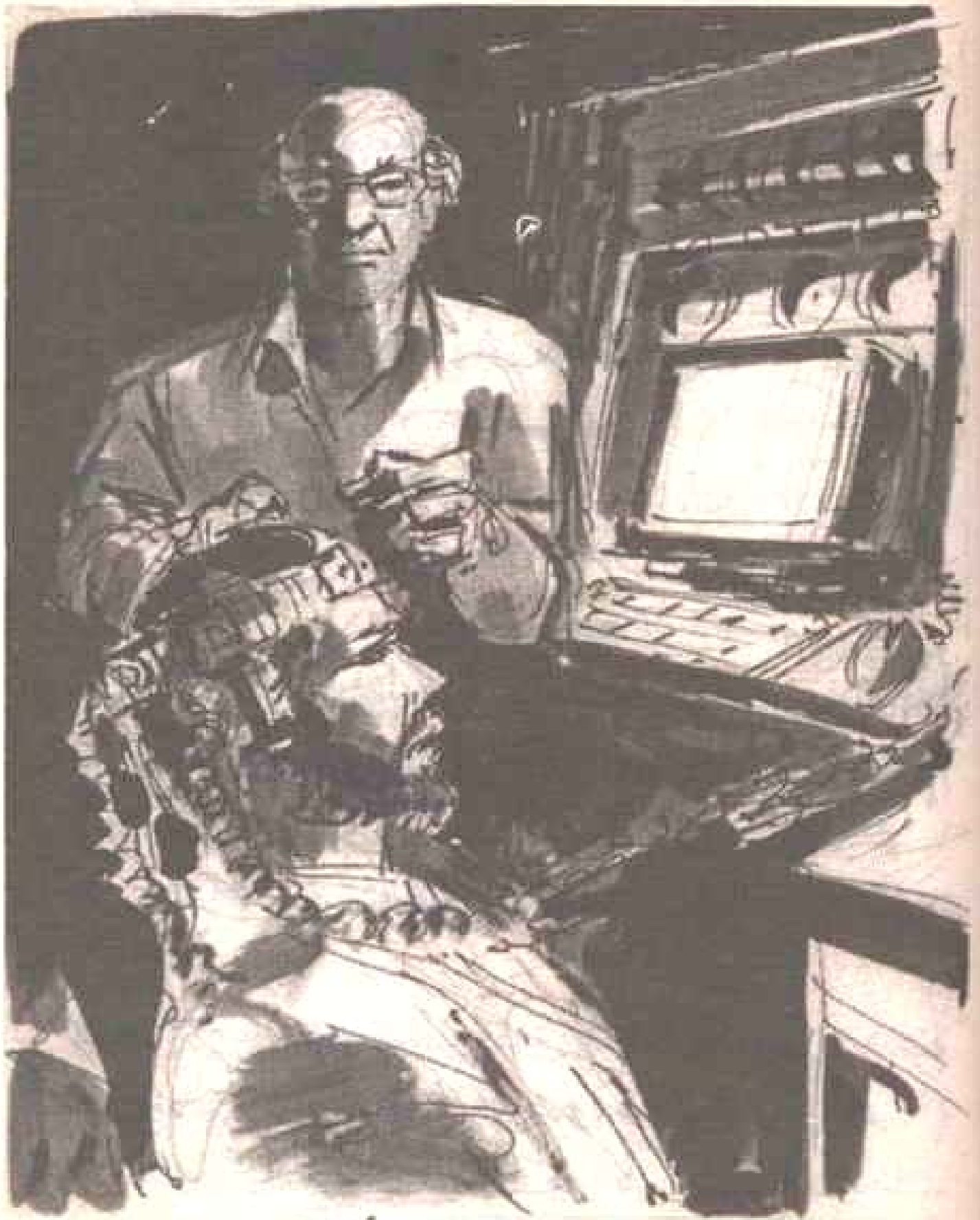
- « الآن سنقوم بالتجربة بشكل عكسى .. »

- « تعنى أننى سأعرف مشاعر الحاسب الآلى ؟ »

- « تقريباً ! »



ومن جديد تركته يثبت الطوق المعدنى حول رأسى ،  
لكن فى هذه المرة كانت تخرج منه أسلاك كثيرة تتجه  
إلى جهاز صغير يتصل بدوره بالحاسب الآلى ..



لكن في هذه المرة كانت تخرج منه أسلاك كثيرة تتجه إلى  
جهاز صغير يتصل بدوره بالحاسب الآلى ..

- « هل تنوى قتلى بالكهرباء ؟ »

همهم مستحسناً الدعابة ، وواصل عمله .. ثم قال :

- « ثق بي .. سأجعلك تعرف متعة لم يعرفها أحد

قط .. »

وانحنى على الشاشة ، وقال بصوت منذر :

- « أغمض عينيك ، وقل لي ما تشعر به .. »

- « لا أشعر بشيء .. »

- « صبراً ! »

★ ★ ★

يا للروعة !

إننى أخلق .. أخلق فى سموات صافية ، لها زرقة  
البحر ونقاء البللور ، أدنو من السحب لأجنى منها  
ما يملأ كفى ..

إننى الأقوى والأعظم والأجمل .. كيف لم أفطن  
لهذا ؟

أهبط إلى الأرض لأخطو فوق بساط سندسى .. عند  
الشمال يوجد غدير يتدفق فى نعومة ، و ( برنادات )  
قادمة نحوى بالسرعة البطيئة كما فى أفلام السينما ..  
ثوبها الأبيض يتطاير من ورائها ..

أحبك يا ( علاء ) .. لم أستطع قط أن أصارحك  
بهذا .. أنا الذى يحبك يا ( برنادت ) .. لا .. لا ..  
لا تقل هذا .. لا تحاول أن تدغدغ غرورى الأنثوى ..  
أعرف أن مثلك يا ( علاء ) لن يحب مثلى ..  
أمى آتية من بعيد .. تبدو أصغر سنًا .. لقد  
تحررت من داء ( النقرس ) الذى جعلها قعيدة تمامًا ..  
تضحك فيشرق وجهها الطيب ..  
رائحة القهوة و ( الحبهان ) تفوح من ضحكتها ..  
رائحة البيت ..

( شلبي ) يهتف فى افعال :

- « المجد لـ ( علاء ) أعظم أطباء ( سافارى ) ..  
الذى أنقذ الملايين من داء الـ ( تايروس ) .. إن جائزة  
( نوبل ) فى انتظارك يا بنى .. »  
هاتذا أتقدم لأستلم الجائزة فى ( السويد ) ..  
إنه المجد ..

( نسرين ) تولول باكية .. تهرع إلى وتصيح :

- « ( علاء ) ! كنت مخطئة ! أرجوك أن تعود إلى ..

أنا راغبة فى الزواج من رجل عظيم مثلك .. »

لكنى أرمقها فى تعال وأغمغم :

- « كان عليك أن تغتني الفرصة وقتها ! »  
تصرخ .. تبكي .. تقطع شرايينها وتموت ..  
عندها أنظر لها في أسف و ..

★ ★ ★

- « هكذا إذن ! يكفيك هذا .. »

قالها ( دوبيون ) ففتحت عيني لأجد أنني ما زلت  
جالسًا في معمله ، ولم تكن هناك ( برنات ) ولا أمي  
ولا لجنة ( نوبل ) ..

صحت ذاهلاً وأنا أنظر حولي :

- « ما كان هذا ؟ »

- « شعور رائع .. أليس كذلك ؟ »

- « لقد .. لقد وصلت لذروة النشوة .. »

قال وهو ينزع الطوق عن رأسي في رفق :

- « ليس هذا فحسب .. لقد منحتك مزيجًا من

مشاعر النشوة والتفاؤل والثقة بالنفس .. وقد جربت

بنفسك ! »

- « لكن .. لكن ما هو داء الـ ( تايروس ) ؟ »

- « على قدر علمي لا يوجد شيء كهذا .. هل

حلمت به ؟ »



- « حلمت أنني اكتشفت علاجاً له .. »

- « لا بد أن الداء نفسه من اكتشافك .. هل فهمت

الآن ما قمت به ؟ »

اتسعت عيناى زهولاً ، ورحت أتأمل الشاشة غير

مصدق :

- « أنت خلقت حالة عاطفية مزيفة ووضعتنى

فيها .. »

- « تماماً .. وذلك باستعمال عينات المشاعر

لدى .. »

- « لكن هذا خطر .. »

- « حقاً خطر .. إنه قد يقودك إلى الإدمان ..

فالنشوة التى شعرت بها الآن شبيهة بالنشوة التى

يسببها عقار L.S.D .. وكل ما يسبب النشوة يسبب

الإدمان كذلك .. »

صحت مبهور الأنفاس :

- « أنت أول من يصل لشيء كهذا ! »

هزاً كتفيه فى تواضع ، وقال :

- « ليس تماماً .. ثمة تجارب مهمة أجريت فى

الستينات .. كانوا يستأصلون أورام المخ ، والمرضى

متنبهون يحكون ما يشعرون به .. وكانت إثارة أجزاء  
معينة من المخ بأقطاب كهربية تجعل المريض يشعر  
بأنه يشم رائحة لحم مشوى شهى ، أو يركب دراجة  
فى نهار صحو ، أو يتلذذ بكوب عصير بارد .. وقد  
استعنت كثيراً بالخرائط التى رسمها علماء السقينات  
هؤلاء (\*) .. «

عدت أسأله محاولاً ترتيب أفكارى :

- « يمكنك جعلى أتألم كما جعلتنى أنتشى ؟ »

- « يمكننى جعلك تشعر بأية عاطفة تخطر ببالك .. »

- « .. من جديد ما جدوى هذا كله ؟ »

أتجه إلى القفص الذى يلهو فيه قرد ( الماكاك ) ،  
ودسّ يديه فى جيبي معطفه ، وقال دون أن يدير  
رأسه نحوى :

- « هذه هى الخطوة الأولى نحو عالم المستقبل .. »

إن كتاب الخيال العلمى قد كتبوا كثيراً عن المشاعر  
الصناعية ، وفى فيلم لـ ( وودى آلين ) كان رجل  
المستقبل يتخلص من عناء اليوم بأن يدخل غرفة

---

(\*) حقيقة ..

صغيرة اسمها ( أورجازموترون ) ، كى ينال الشعور  
الصناعى بالنشوة ، ثم يغادر الغرفة إنساناً جديداً ..  
« تصور إمكانيات كشف كهذا .. لن نحتاج إلى  
( المورفين ) أو عيادات الألم ، كى نخفف آلام مريض  
السرطان ، بل سنجعله يمرُّ بسلسلة لا تنتهى من  
أحلام السعادة هذه ..

« لن نعاقب المساجين .. بل سنجعلهم يمرُّون  
بمشاعر الخوف الصناعى أو الألم الصناعى لفترات  
طويلة ..

« سنمنح الأطفال الجياع مشاعر الشبع حتى تصل  
طائرات الإغاثة ..

« سنمنح المترددين الخائفين مشاعر الثقة بالنفس ..

« سنجعل السفاحين يجربون مشاعر الضحية

الخائفة ، كى يتوبوا عن جرائمهم للأبد .. »

وشهق بعمق كى يجد ما يكفى من هواء لعبارة

الأخيرة :

- « إن اختراعاً كهذا يمكنه تغيير وجه العالم حقاً .. »

★ ★ ★

هنا سألته السؤال الذي جئت خصيصاً لأوجهه ..  
- « إذن هذا الجهاز يمكنه وضع الآخرين في حالة عاطفية صناعية ؟ » .

- « ظننت أنني أوضحت هذه النقطة .. »  
- « ومعنى هذا أنه يمكنه التأثير عليهم .. لنقل يمكنه جعلهم يقومون بأشياء لا يريدون عملها .. »  
- « بالتأكيد ! »

في بلاهة تدلّى فمى .. إنه يعترف إذن .. يعترف  
بقدرته على توجيهي لعمل أشياء ، ما كنت لأفعلها في  
يقظتى .. قتل ( موزنجا ) مثلاً ..  
لو كنت قتلت ( موزنجا ) فلا بد أنني كنت تحت  
سيطرة خارجية ..

سيطرة يفرضها على طوق حديدي يحيط برأسي ..  
إن هذا الجهاز مربع ..  
مربع أكثر مما أتصور ..

★ ★ ★

## ٩- المادّات ..

لم أصارح الرجل بشيء من خواطري السوداء .  
وفي الصباح رحت أمارس عملي المعتاد مع طبيبة  
المعمل الشمطاء ( هيلجا ) ، أتلقى لومها على عدم  
تركيزي و خلط العينات ببعضها .. لكنى - برغم هذا -  
كنت أملك القدرة على تأمل نفسي من الخارج ..  
الحقيقة أنني لم أكن على ما يُرام .. تجربة الأمس  
ومشاعر النشوة الصناعية التي منحنيها ( دوبيون ) لم  
تمرّ على خير .. وهأنذا أعاني ذات الأعراض التي  
يعرفها مدمنو الخمر أو مدمنو المهدئات حين يفيقون  
في اليوم التالي .. يسمونها hang over ولا أجد ترجمة  
عربية موفقة لها ..

كنت منهمكاً في تدوين بعض الأرقام ، حين دخلت  
( برنات ) المعمل ، وكان هذا دأبها كلما تأخرت  
عينات ما ..

هنا لاحظت أن شيئاً ما غريباً في مظهرها .. لقد  
كانت تضع الطوق إياه حول رأسها ..

هتفت د. ( هيلجا ) بصوتها العجوز البارد :  
- « مرحبًا يا صغيرتي .. هل نجحوا في جعلك  
ترتدين هذا الشيء ؟ » .  
أخرجت ( برنادت ) مفكرة ودونت ملاحظة  
شعورية ما ، ثم قالت :

- « إن التقدم أقوى من الجميع ياد. ( هيرشافت ) .. »  
لاحظت وجودي .. فهتفت في مرح :  
- « هاي ( علاء ) .. لقد حان دوري في المهزلة ! »  
ودوّنت شيئًا في مفكرتها ..  
قلت لها وأنا أنهض في عصبية :  
- « أنصحك بانتزاع طاقة المخابيل هذه .. إنها  
خطرة .. خطيرة ولا يعلم سوى الله ما قد ينجم  
عنها .. »

هزّت كتفها في لا مبالاة ، وقالت :  
- « أنت جربتها قبلي ولم تجن .. ثم إنني بدأت  
أعتاد شكلها .. إنها تجعلني أكثر أناة .. »  
- « من طلب منك ارتدائها ؟ »

- « المدير .. قال لي : إن ( دوبون ) راغب في  
قياس مشاعر الأنثى وتحليلها .. ما كنت لأرفض .. »

ثم سألت ( هيلجا ) بلهجة عملية :

- « ماذا عن صور الدم التي أرسلناها أمس ؟ »

يا للمجنونة ! .. لكنى لن أجرف على مصارحتها  
بخطورة ما أعرفه .. إن بوسعك أن تحذر طفلاً من  
الكهرباء ، لكنه لن يفهم أبداً ما لم يشعر بالصعقة  
الكهربية ، أو يرى واحداً قتلته الصدمة ..

أنا أحد ضحايا الصدمة الكهربائية .. فكيف لا تخافين

يا ( برنادت ) ؟

أعتقد أن على مقابلة المدير ، والكلام بصراحة ..

لن يكون هناك ضحايا آخرون لذلك الاختراع

الأحمق ..

★ ★ ★

راح جرس الإنذار يدوى ..

كنا فى الكافتريا فتصلبنا فى الأوضاع التى كنا

عليها .. من كان يرفع الملعقة إلى فمه ، ومن كان

يجرع من كوب العصير ..

بعدها دوى صوت المذيعة :

- « على كل الجراحين الموجودين التجمع فى مسرح

العمليات .. على كل الجراحين .. »

- « اللعنة ! »

قالها جراح أمريكي شاب ، وجرع آخر ما بقى فى كوبه ، ثم راح يركض كى يفهم تلك الكارثة .. إن الحوادث التى تستدعى تشغيل جرس الإنذار نادرة هنا ، ولا تقل سوءاً عن انفجار بركان فى مدينة .. نظرت لساعتي فوجدت أننى غير مطالب بشيء معين ، ولربما لن يزيد وجودى الأمور تعقيداً .. لم لألحق بهم ؟ لعلى أستطيع إسداء العون فى أى موضع ..

وهكذا رحت أركض فى الممرات ، ومعطفى مفتوح .. شاعراً بفخر صبياتى لمنظرى الذى كان سيروق لأمى حتماً ..

هى ذى قاعة العمليات ، وقد تحولت إلى سيرك يضم لاعبين من كل الجنسيات .. الكل يثرثر ويتكلم ويشير ، وقد وقف عدد لا بأس به من الجراحين بثيابه الداخلية ، ينتظر - دون حرج - دوره فى إجراءات التعقيم ..

رأيت وسط الزحام الإيطالى ( كارلوسياترانى ) .. كان بفانلته الداخلية ، لا يكف عن التثرثرة التى هى أشبه بالسباب أو السباب الذى هو أشبه بالتثرثرة ..



كان منظره مضحكاً ببدانته ، والشعر الكث الذي  
يغلف ذراعيه وصدره ، حتى إنني بحثت عن شعر في  
بياض عينيه فلم أجد ..

سألته متوقفاً صيحةً تبعدني :

- « بروفسور .. ماذا حدث ؟ »

على الفور امتدت يده الغليظة تجذبنى من عنقي ،

وصاح :

- « هو ذا واحد آخر يا ( بيير ) .. إن الفتى كفاء ..

خذه معك ! »

- « هل لى أن أعرف .. »

- « حريق يا بنى .. ثم أشجار متساقطة .. لقد

جلبت لنا سيارات الإسعاف نحو مائة شخص بعضهم

محترق وبعضهم مهشم .. »

هنا جاء طبيب العناية المركزة ( بيير ) واقتادنى من

ذراعى ..

لم يكن هناك مكان يكفى لمائة مريض ، ولا حتى

لخمسين .. لهذا وجدت الردهة الخارجية قد تحولت

إلى عنبر كبير ، يتمدد فيه على الأرض عشرات

السود الذين احترقوا أو كادوا ..

تَبَّأَ لَهَا مِنْ فَوْضَى !

وظهر البروفسور ( بارتلييه ) يلهث وهو يدفع جسده البدين خلفه ، ووراءه د. ( براكلى ) نائبه .. فما إن رأى المشهد حتى صاح :

- « يا للهول ! إن قدراتنا لا تسمح باستيعاب هذا العدد .. لماذا لم يأخذوهم إلى مستشفيات أخرى ؟ »  
وهنا اصطدمت به ممرضة إنجليزية تحمل ستاً من زجاجات المحاليل ، وكان ( بيير ) عاكفاً على تركيب قنوات وريدية لمن يجد له أوردة ، بينما ( بسام ) يجرى تنفساً صناعياً لأحدهم ..

رحت أساعد د. ( بيير ) فى البحث عن أوردة .. وهذه مهمة مستحيلة لكل من جرَّب تركيب إبرة فى عروق شخص مصدوم .. لكنى نجحت إلى حد ما .. نساء .. أطفال .. شيوخ .. رباه ! ..

توقفت وصحت منادياً ( بيير ) :

- « دكتور .. لقد مات ثلاثة منهم ! »

قال دون أن ينظر لى :

- « مرحى ! مهمتنا صارت أسهل ! »

لم تكن هذه قسوة .. بل هى تعبير عن حالتى

السخط والعجز اللتين شعرنا بهما حين رأينا الموت  
يدور حول هذه الجثث ليَقف عند رءوسها.. ونحن  
قلّة .. وأضعف من أن نلاحقه في خطواته السريعة  
الرشيقة المدروسة ..

كنت عاكفاً على تنظيف جرح صبي في السادسة  
عشرة من عمره ، حين سمعت صوتاً ناعماً متصلصاً  
يقول :

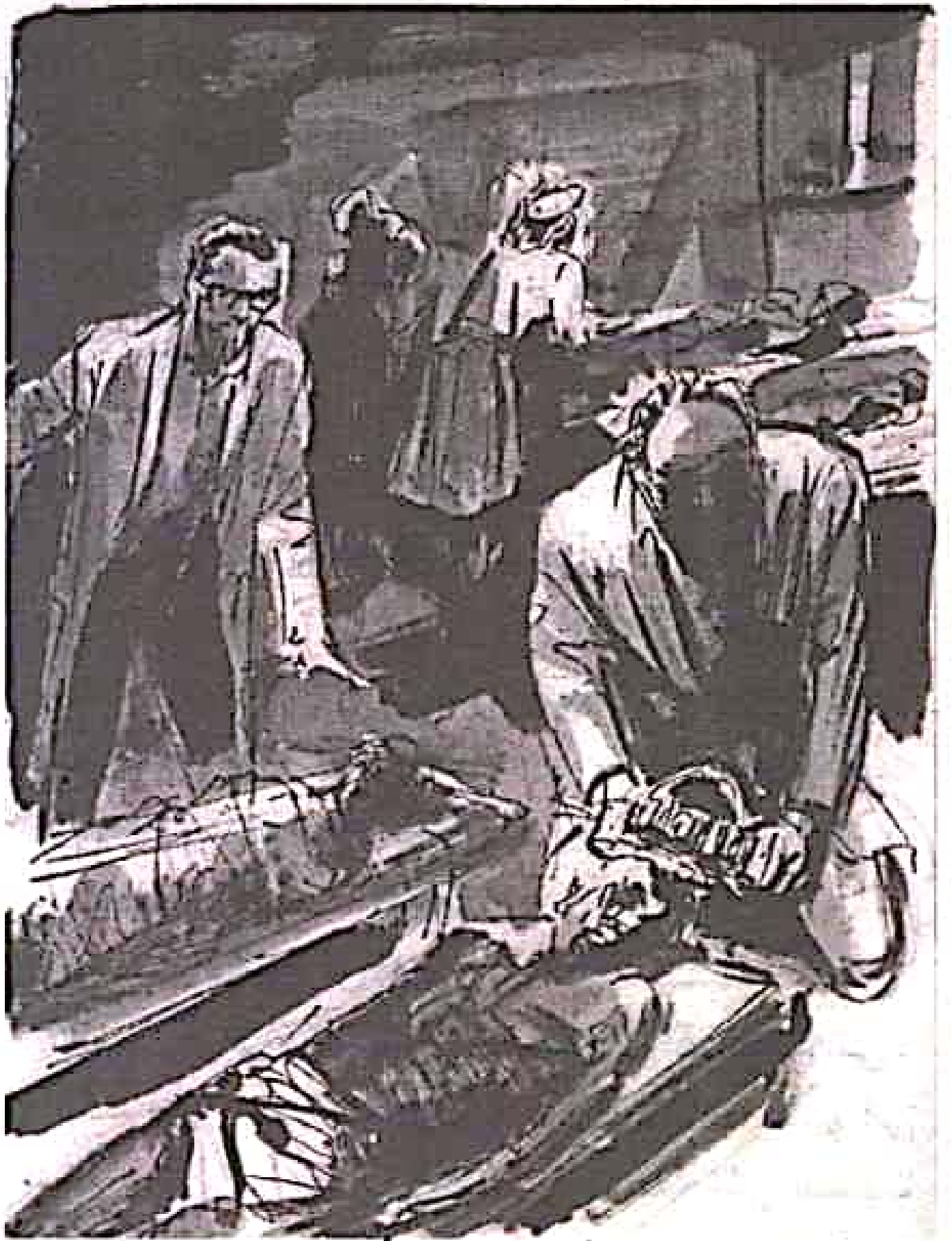
- « استمر ! لن أضايقك ! » .

رفعت رأسي ببطء من موضعي ، فرأيت مشهداً لن  
أتساه أبداً ..

كان ( دوبون ) جاثياً على ركبتيه عند رأس الصبي  
المعذب المولود ، وكان - ( دوبون ) - يحاول تثبيت  
طوق جهازه المعدني حول الرأس !  
للخطة لم أفهم .. ثم فهمت ..

- « هل تحاول أن ؟ »

قال في رفق وهو يشير بسبابته إلى فمه ليسكنني :  
- « صبراً .. إنها عاطفة نادرة حقاً .. الألم في  
أشنع صورته .. إنها من مقتنيات الثمينة التي أضمرها  
لمجموعتي في فخر ! »



جائئاً على ركبته عند رأس الصبي المذبذبول ، وكان - (دوبون) -  
يحاول تثبيت طوق جهازه المعدني حول الرأس ا . .

هنا فقدت التحكم نهائياً في أعصابى .. فصحت  
بالعربية :

- « أيها الوغد ! »

نظر لى فى ذهول وعدم فهم ..

هنا وثبت نحوه ، وكورت قبضتى ولكمته فى أنفه  
أعز لكمة كان لى أن أوجهها فى حياتى .. لقد ضربت  
وضربت كثيراً ، لكنى لم أستمع قط بتوجيه لكمة كهذه  
طيلة عمري ..

ترى هل هو الإيحاء أم أن عظام أنفه تهشمت حقاً ؟  
وقبل أن يفهم أننى ضربته ، وجهت لكمة إلى  
معدته ، ثم سيف يد إلى مؤخرة عنقه .. ولحسن  
الحظ كان هزيل البنية ، لذا تهاوى على الأرض  
كعروس ( ماريونيت ) مات محركها بنوبة قلبية ..  
فى اللحظة التالية وجدت خمسة يقيدوننى  
ويبعدوننى عن الرجل ، ورأيت البروفسور ( بارتلييه )  
ينظر لى فى ذهول ..

- « ( علاء ) ! إذن أنت قادر على قتل إنسان ! »

أشرت إلى رأس الصبى الإفريقى ، وقلت :

- « انظر ! عالمك المخبول يحاول قراءة مشاعر

هذا الصبي .. ومتى ؟ فى أثناء معاناته التى لا يصدقها  
عقل بعد احتراقه .. إن هذا الـ ( دوبون ) لا يستحق  
لقب إنسان أصلاً ، ولو كان حجم حذائى أكبر لسرنى  
أن أسحقه كما أسحق أى .. أى .. »

بلهجة ذات معنى قال وهو يثبت عينيه فى عيني :  
- « .. أى ثعبان .. أليس كذلك ؟ »  
مططت شفتى تعالياً ، وقلت :

- « تلميح واضح أكثر من اللازم .. لكنى أسألك  
يا سيدى بصفتك رجلاً شريفاً : هل تجد تصرف  
( دوبون ) هذا آدمياً ؟ ! » .

قال وهو يتفقد الرجل المكموم على الأرض :  
- « بالطبع لا .. إن الحيوانات أكثر رقة من هذا ..  
لكن هناك دائماً طرقاً أخرى للاحتجاج غير تحطيم  
الأثوف .. وللأسف أجد أننى مطالب بمعاقبك ..  
سنأتى لمكتبى بعد انتهائنا من عمل اللازم للضحايا .. »

ثم أشار إلى رجاله ، وإلى ( دوبون ) وقال :  
- « هاتوا هذا الحيوان إلى مكتبى لأعنى به .. »  
كان للفظه ( الحيوان ) أثر السحر فى تهدئتى ..  
أخيراً خرج المدير من دائرة الانبهار بـ ( دوبون ) ،

وبدا يطلق عليه نوعاً غير مهذبة .. لا بأس على الإطلاق ..

وهكذا عدنا نواصل مهمتنا الشاقة مع جيش الجرحى والمحتضرين الذى فوجئنا به ، ولا بد أن (سباتزاتى) الجراح الإيطالى قد استأصل عشرين طحالاً وشفط عشرين تجمعا دموياً ، قبل أن نشعر أن الأمور قد استقرت نوعاً ..

وهكذا توجهت إلى مكتب المدير منهوكة ملوثة بالدماء ، ورائحة الشياط تتبعث من أنفاسى .. ولم نقل السكرتيرة كلمة ما ، لأن منظرى كان يفتنى عن أى سؤال ..

لابد من أن ألقى المدير الآن وإلا حدثت كارثة .. ودخلت لأجد الرجل عاكفاً على إجراء مكالمات عدة ، طالباً أن تتدخل وزارة الصحة لنقل بعض المصابين لمستشفياتها ..

أشار لى كى أجلس ، ثم واصل الشجار فى الهاتف .. أخيراً وضع السماعة ، وقال :

« يوسفنى يا د. (عبد العظيم) .. »

وفهمت معنى استعماله للصيغة الرسمية

( عبد العظيم ) فى مخاطبتى ، بدلاً من ( علاء ) ذات  
الطابع الأبوى الودود ..

قلت كى أريحه من مزيد من الكلام :

- « نعم .. أفهم .. أنت مستغنى عن خدماتى هنا ،

لأنك لا تريد رعاغاً فى وحدة ( سافارى ) .. » .

- « ونفس الشىء ينطبق على ( دوبيون ) ..

لا أريد وحوشاً آدمية هنا .. أرجو أن تقدم لى

استقالتك خلال ساعة .. » .

لم يكن هناك ما يُقال ..

ولو كان يفترض أنى سأتهار وأبكى فهو مخطئ ..

لقد فعلت ما يجب عمله ، ولو عاد الزمن لفعلت

الشىء ذاته ..

- « ( علاء ) .. أئن تقول شيئاً ؟ .. »

- « نعم يا سيدى .. لا شىء يُقال .. إن طردى هو

من صميم واجبك ..

وما زال فى الوقت متسع كى أفكر فى عودتى خائب

الأملى إلى مصر .. إن رصيدى فى المصرف لا بأس

به على كل حال .. يمكننى أن أجد عيادة صغيرة

وأوثئها .. لكنى لن أستطيع العودة لعملى الحكومى ..



الزواج ؟ يبدو ألا مفر من ذلك لو عدت لمصر ..  
كانت لدى هنا حجة جاهزة هي ضيق الوقت وعدم  
توافر فرص الاختيار .. الآن يبدو ألا مفر هناك ..  
و ... ( برنات ) ؟ ماذا عن ... ؟

هنا نظر لى المدير نظرة طويلة شفوق ، وقال :  
- « يبدو أنك لا تفهم معنى استقالتك من ( سافارى ) ..  
ليس الأمر بالبساطة التى تحسبها .. » .  
- « لماذا يا سيدى ؟ » كل الناس تستقيل من كل  
الأعمال طيلة الوقت .. »

ابتسم فى شفقة متزايدة وقال :  
- « معنى استقالتك هو أن أطلب الشرطة لتعتقلك  
فوراً .. فقد زال ضمان عملك ، وهو المبرر الوحيد  
لتركك خارج جدران السجن ! »

www.dvd4arab.com  
★ ★ ★  
Hany3H  
www.dvd4arab.com

## ١٠ - في معمله ..

جلست إلى مقعدى شاعراً أنني على وشك فقد  
وعبي ، قلت :

- « لم يدرك لي هذا ببال .. ولكنك بهذا يا سيدي  
تعاقبنى بما هو أسوأ من الطرد .. ما دمت تعرف هذا  
فلماذا تطلبه ؟ » .

قال وهو يعقد كفيه تحت ذقنه :

- « ربما لن أقبل استقالتك مراعاة للظروف ..  
لكني أتوقع منك تفسيرات أكثر لهذا الذي حدث .. »  
قلت وأنا أتحاشى نظراته :

- « أعتقد أنني أستحق العقاب .. »

- « على ضرب ( دوبيون ) ؟ »

- « بل على قتل ( موزنجا ) ! »

★ ★ ★

في الساعة التالية دق جرس الهاتف ست مرات ،  
ودخلت السكرتيره حاملة أوراقاً ثلاث مرأت ، وخرجت  
لغافتان من جهاز ( الفاكس ) ..

لكن كل شيء لم يمنعني من سرد قصتي بالتفصيل ..  
حينما خلت الغرفة ، قال المدير :

- « كل هذا مخيف .. لكن لا دليل عليه ، ولن يفتح  
أية محكمة .. لكنني سأؤجل عملية طرد ( دوبيون ) حتى  
نعرف ما يعرفه .. »

- « وامنعه يا سيدي من توزيع جهازه على  
العاملين هنا .. لقد رأيت ( برنات ) تضعه على  
رأسها .. لا يعلم سوى الله ما فعلته لحظتها .. »  
- « لك هذا .. والآن سأعاقبك عقاباً مناسباً .. »

ثم استدعى السكرتيرة ، وبابتسامة رقيقة طلب  
منها أن تتأكد من خصم علاواتي مع خصم أسبوعين  
من راتب هذا الشهر .

يا لكرمك يا سيدي ! إنها معاملة أرق من أن  
أستحقها ..

★ ★ ★

في الصباح خرجت من غرفتي شاعراً بشعور لص  
أمسكوه متلبساً في حافلة مزدحمة .. كأن مئات  
الأيدي اتهمت على ضرباً طيلة الليل ..

قابلت ( برنات ) فما إن رأيتني حتى أشرقت ،  
وكورت أنفها قائلة :

- « هاي ( علاء ) ! سمعنا أنك عوقبت بسبب

ضربك لـ ( دوبون ) .. الحق أنه يستحق .. »

- « لماذا ؟ لقد انتهت تجربتك معه .. »

احمر وجهها قليلاً ، وغمغمت :

- « كان يحاول استنتاج مشاعري .. لكنه لم يوفق ..

تصور أنه يزعم أنني - حين كنت في المعمل أكلمك -

أظهرت موجات تدلُّ على حب وافتتان عميقين ، وقد

استنتج من هذا أنني أحبك .. تصور هذا السخف وكل

هذه الحماقة ! »

تقلص وجهي غير مصدق :

- « هو قال هذا ؟ »

- « تصور ! »

انفجرت ضاحكاً - أو هكذا قررت - ورحت أضرب

فخذي بكفي :

- هذا الأحمق ؟ هي هي ! هذا المخبول ! هو هو !

أنت وأنا .. و .. هي هي ! إن الجنون لن ينتهي من

العالم ! » .

- « لقد أبديت له رأياً مشابهاً .. »

ثم حيثى برأسها وابتعدت ..

استندت إلى الجدار متلاحق الأنفاس ..  
رباه ! ماذا لو كان ( دوبيون ) عبقرياً ؟ ماذا لو  
كان على حق ؟ لا أجرؤ على التمني ..

★ ★ ★

بعد الظهر توجهت إلى معمل ( فسيولوجيا الجهاز  
العصبي ) ..

طرقت الباب حتى افتتح ليظهر لي وجه ( دوبيون )  
الذي صرت أمفته كسحلية سامة .. وكأنت هناك  
ضمادة على أنفه المهشم ..

فما إن رأيت حتى ظن أني جئت لتوجيه المزيد من  
الكلمات إلى أنفه وبطنه ، وتراجع للوراء ..  
لكني رسمت ابتسامة ودوداً ، وقلت :

- « جئت لأعذر .. لقد كنت فظاً أمس .. »

هنا تنهد ، وفتح الباب أكثر :

- « فظاً فقط ؟ لقد كنت على وشك قتلى .. »

- « كانت الظروف متوترة كما تعلم .. ثم فاجأني

بهذا الطوق الحديدى ، و .. »

أشار لي كي أدخل ، فتقدمت إلى داخل المعمل معتم  
الإضاءة ، حيث كان ( الأخ الأكبر ) يعمل في صمت ..

فقط صوت هدير من جهاز الـ UPS ، المسئول عن  
عدم انقطاع التيار الكهربى عن الحاسب الآلى ..

سألنى وهو يجلس أمام الشاشة :

- « لعلك هدأت نفساً ، وتخلصت من أخلاق الرجل

العادى .. »

- « أحاول .. »

ثم خطر لى أن أسأله سؤالاً مهماً بالنسبة لى :

- « هل حقاً وجدت فى مشاعر ( برنات ) عاطفة

حباً تجاهى ؟ »

ابتسم فى خبث ، كأنما يقول : يا لتفاهة هؤلاء

الشباب ! ثم مَدَّ يده للأررار ، وفتح لى ملفاً .. ثم

راح يستعرض الموجات حتى وصل لذنبية معينة ..

- « هل ترى هذه الموجات ؟ »

ثم فتح نافذة أخرى تجاور الأولى ، وتظهر موجات

مماثلة :

- « وهل ترى هذه ؟ لاحظ التشابه القوى .. إن

الأمر قابل لقياسه بدقة طبعاً ، ويتجاوز مجرد

إحساسك الانطباعى بالتشابه .. هل ترى ؟ الموجات

الأولى هى موجاتك حين قلت فى مكبر الصوت :

أشعر بحباً شديداً ، وقلبى يرتجف فى ضلوعى ..

« الموجات الثانية هي موجاتها حين قابلتك أمس ..  
ما الذي نستنتج من هذا !؟ »  
أخذت شهيقاً عميقاً .. وفي نفسى قلت : مستحيل ..  
هذا مستحيل لأنه ببساطة مستحيل .. إن الجميع على  
خطأ .. وحتى ( هومير ) يحنى رأسه .  
دعونا من هذا الحلم الجميل ولننتحدث في أمور أكثر  
أهمية ..  
قلت له :

- « أنا راغب في تجربة مشاعر التفاؤل أو الرضا ..  
أشعر بتوتر شديد هذه الأيام .. »  
- « ليس الأمر بهذه السهولة .. سأقبل ما تريد  
بشرط ألا تريده ثانية ، فأنا لا أريد إقحامك في خاتمة  
الإدمان .. »

- « بضع دقائق لا أكثر .. »  
اتجه إلى مكتبه ، فتناول كيساً من البلاستيك يحوى  
طوق الأفكار إياه ، ففتحه .. ثم عاد إلى ..  
هنا دق الباب فاتجه ليفتحه .. وسمعت ثرثرة  
بالفرنسية ..

وظللت أنا وحدي في الحجرة شبه المعتمة ، أصغى

لصياح قرد ( الماكاك ) الذى تنبه فجأة، وأسمع هدير  
جهاز الـ UPS ، وصوت أفكارى ..  
لقد تذكرت شيئاً ما ..

★ ★ ★

« .. كى أنزع الطوق الحديدى المقيت من حول  
رأسى وأعيده لـ ( دوبون ) ، فطلب منى أن أضعه فى  
كيس بلاستيكى على المنضدة ..  
شعرت لحظتها أن قمة رأسى تنب ... »

★ ★ ★

هكذا إذن !

كانت هناك طريقة بسيطة جداً وصلت بها بصماتى  
إلى كيس بلاستيكى ، وفيما بعد وجدوا كيساً بلاستيكياً  
يحمل بصماتى حوار جثة ( موزنجا ) ..  
الاستنتاج : لم أكن أنا القاتل ولكن صاحب الكيس ..  
ثمة سؤال واحد هنا .. هل استعمل الكيس مصادفة  
أم أنه كان يبنى توريطى ؟ هل خنق ( موزنجا ) بأول  
كيس وجده ، أم أنه اختار ذلك الكيس بالذات بغية  
إلقاء الاتهام على أول مغفل خطر له ؟  
وطبعاً استعمل قفازاً فى الحالتين ، فلن يغير هذه  
الحقيقة شيئاً .



ولكن لماذا قتل ( موزنجا ) ؟

كانت شاشة الحاسب الآلى مضاعة أمامى ، وقد طالت محادثته مع الشخص على الباب أكثر من اللازم .. فى حذر - كأتنى أمسك فاراً حقيقياً - مدت يدي أتلّمس الفأرة ، وكنت قد تعلمت شيئاً أو شيئين عن استخدام الحاسب الآلى مع ( شلبى ) .. تحركت بالمؤشر إلى أيقونة صغيرة فى طرف الشاشة السفلى .. كان اسمها ( ملاحظات ) ..

هل انتهت المحادثة بعد ؟ .. لا ..

أعرف أن ( دوبيون ) يكفل سرية كاملة لحاسبه الآلى ، ولا يستطيع أحد فتحه .. لكنه الآن مفتوح كقلب طفل .

لقد دخلت المدينة بجيوشى لأن أحداً لم يحسبني محارباً ، والآن قد اجتزت الأسوار الحصينة ، وأستطيع عمل ما أشاء ..

ضغطت على الأيقونة ، فافتحت نافذة دُوّنت بها ملاحظات .

كانت أسماء ملفات .. لكنها طويلة أكثر من اللازم ، واستطعت أن أقرأ ( فاقد الوعي ) - ( استيقاظ ) - ( عذاب الاختناق ) - ( الاحتضار النهائى ) ...

هذا هو الدليل الكامل إذن ..

أستطيع الآن أن أفهم ما حدث .

لقد خرج ( دوبون ) فى ذلك الصباح مرتدياً قفازيه ..  
وقد دسّ الكيس البلاستيكى فى جيبه مع حبل غليظ ،  
وكان يعتزم خنق أحدهم ليضيف إلى مجموعته شعوراً  
نادراً طريفاً ..

هنا حدث شيء ما .. إما أن ( موزنجا ) شك فيه ،  
أو أن ( موزنجا ) كان تعس الحظ ، بحيث كان هو  
أول من لقيه ( دوبون ) فى مكان خال مناسب ، وكان  
ظهره له .

عندها اتهاال على مؤخرة رأسه بجسم ثقيل .. ثم ..

( اللعنة ! هذه النافذة لا تريد أن تختفى ! ) .

.. قيده .. وجره جراً إلى خزانة التنظيف ، فما إن

بدأ هذا يفيق حتى ثبت الكيس على رأسه - بعد ما ثبت

الطوق الحديدى طبعاً - وراح فى برود ينتظر فى

الردهة ، حتى اكتمل عنده الشريط الثمين .. من ثم

فتح الخزانة وانتزع الكيس ، ثم انتزع الطوق فأخفاه

فى ثيابه وأغلق الخزانة .. وابتعد ..

وفى معمله كان جهاز الحاسب الآلى - أو الأخ الأكبر -

يزغرد فرحاً بكل هذه الملفات التي وصلته .. فلم يبق  
سوى تسمية الملف كله باسم ( مكتبة الاحتضار ) ..  
( كيف تنغلق هذه النافذة ؟ لا حل سوى إطفاء  
الجهاز كله ولأنظاهر بالحماقة بعدها .. )

كان قراري متأخراً ربع ثانية ..  
لأن وعيي تلاشى في هذه اللحظة ..

★ ★ ★

ظلام .. ظلام .. ظلام ..  
أسود من السواد وأكثر صمّاً من الصمت ..

★ ★ ★

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)

Hany3H

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)

## ١١ - كشف الأوراق ..

يجلس في مقعده الأثير أمام شاشة الحاسب الآلى ،  
يتأملنى وأنا أفيق وكل ملامح وجهه تعكس همًا عميقًا ..  
أخيرًا حاولت تحريك أطرافى فلم أقدر ..  
الإجابة واضحة وسأوفر عليك الوقت .. كنت مقيدًا  
فى الفراش بالحبال فى وضع المصلوب ..  
أخيرًا قال فى شرود ، وهو يتأمل قبضة معدنية فى  
يده :

- « لقد أفقت تمامًا .. »

- « هذا ما أظنه .. »

فلتها فلم تخرج إلى العالم الخارجى .  
الإجابة - كذلك - واضحة .. كنت ملثمًا بقطعة من  
اللاصق ..

قال وقد سمع نههتى وهمهتى :

- « معذرة لهذه المعاملة .. فالصوت ينتقل بسهولة

هنا .. »

ثم تأمل أظفاره .. وأردف :

- « لم أتوقع قط أنك ستحاول العبث في جهازي ..  
كنت مطمئنا إلى أن أحدا لن يستطيع فتحه ، ونسيت  
أولئك الذين سيجدونهُ مفتوحًا بالفعل .. الخلاصة ..  
لقد صرت تعرف أكثر من اللازم كما يقول رجال  
العصابات ، ويؤسفني أنني بحاجة إلى التخلص  
منك .. »

ثم تقلص وجهه الأملس ، وقال :

- منذ البداية لم أستطع أن أحبك أو أثق بك ..  
لهذا - حين قتلت ( موزنجا ) - كنت أول من خطر لي  
كي أورطه .. وكان عندي الكيس البلاستيكي الذي  
يحوي بصماتك .. كنت أعرف أنني سأحتاج إليه حتماً  
يوماً ما ، لهذا اعتنيت بإخفائه وعدم لمسه بيد عارية ..  
لا تتكر أنه أسلوب ناجح ..

« لماذا قتلت ( موزنجا ) ؟

« إجابة سهلة لسؤال صعب .. قتلته لأنه كان  
هناك ، ولأنني أمقت جثته الضخمة ورائحته العطرية  
الدميمة ، وأسئلته السمجة عن كل شيء ..

« كان يدير ظهره لي ، وكانت القبضة الحديدية في  
جيبين .. لم يكن ثمة إغراء أقوى من هذا ..

« في الوقت ذاته جعلت حاسبي الآلى يصدر موجات عالية تتبعث من الطوق حول رأسك .. كنت أعرف أن هذا سيجعلك تفقد الوعي ، وعندها سيحملك المحيطون بك إلى مكان قصى ..

« كنت أريد أن تختفى وقت الجريمة ثم تظهر بعدها .. بالطبع لن تتذكر ما حدث .. ولسوف تشك أنت نفسك في معنى ما كان ..

« إن الناس الأغبياء - وأنت منهم طبعًا - قليلوا الثقة بحواسهم ، ويسهل إقناعهم بأنهم عملوا شيئاً ما لا شعورياً .. »

كان يتكلم في شرود طيلة الوقت ، كأنما يكلم نفسه ..

وخطر لى هنا أنه لا يجيد التقييد ..  
بالطبع لا يجيده .. أقسم إن الأنشطة غير محكمة حول معصمى الأيمن ، وبشيء من الجهد الصادق أستطيع أن ...

لكن لأنتظر .. لسوف يلاحظ ذلك حتماً ..

لا بد من لحظة مناسبة ما ..

★ ★ ★

تذكر .. إن الأخ الأكبر يراقبك ..

★ ★ ★

عاد يتكلم وهو ينظر إلى الشاشة التي تتحرك عليها  
صور أسماك :

- « هكذا ترى .. لقد دنوت جدًا من النهاية  
العظمى .. وصرت على شفا إعلان أبحاثي .. لكنى  
فى كل مرة أصطدم بأخلاق الرجل العادى .. تخيل لو  
أن حياة ( أديسون ) معلقة بقتله امرأة عجوز ..  
امرأة لا نفع منها ولا جدوى .. عندئذ هل يوجد  
خيار ؟ هل تتردد ؟ لو عاشت المرأة لما كان هناك  
( أديسون ) .. »

« سيقول الاخلاقيون : حياة بشرية بحياة بشرية ..  
لا .. لا .. حياة ( أديسون ) لا تتساوى بحياة امرأة  
عجوز ، وحياة ( موزنجا ) لا تتساوى بحياتى .. بل  
بحياة أبحاثى .. »

« لقد دهمت طفلاً بسيارتى فى ( بلجيكا ) منذ  
عام .. فماذا تظننى فعلت ؟ قررت وتناسيت الأمر  
تماماً .. »

« ستقول : تبأ لك من وغد ! فأقول لك :

لو خضعت لأخلاق الرجل العادي لكنت الآن في السجن ، ولما وجد اكتشافي هذا ..

« والبديهى هنا أن حياتك ليست أهم من حياتى ياد . ( عبد العظيم ) .. وأرجو أن تجد بعض السلوى فى معرفة أنك تقدم بموتك شيئاً لمسيرة العلم ! » .  
وبعد هنيهة صمت عاد لـ ( مونولوجه ) الطويل ..  
قال :

- « الحق أننى لم أختَر الوسيلة بعد .. لكنها من نفس جنس اكتشافي .. سأمنحك - مثلاً - شعوراً مضاعفاً من الألم ، وسوف يتوقف قلبك على الفور من الصدمة العصبية ..

« عندها ألقى بك فى مكان بعيد عن الغرفة - لا تنس أننا فى منتصف الليل - وسوف يندهش ( بارتلييه ) حين يجد شاباً مثلك يعانى من نوبة قلبية بل ويموت بها ..

« لكن التشریح سيؤكد ذلك ، وسينفى كل الأسباب الأخرى .. هكذا ينتهى فصل دام من هذه القصة .. »  
ثم نهض ، وسمعت صوت سائل يتدفق فى كوب ..  
الربطة .. يجب أن ..



كما توقعت .. إن معصمى الأيمن يستطيع الخروج  
من القيد ، ومعه يدي كلها .. فعلت ذلك ، ثم لففت  
طرف القيد كيفما اتفق حول يدي ليبدو في مكانه ..  
سأنتظر لحظة أن يدنو من الفراش كي ..

★ ★ ★

تذكر .. إن الأخ الأكبر يراقبك ..

★ ★ ★

عاد حاملاً كوباً من العصير عديم المذاق - حتماً -  
فجلس إلى مقعده ، وراح يتأمل الكوب بعض الوقت ،  
ثم قال :

- « لكنى لا أجد الشجاعة كي أفعل .. لهذا سأستمد  
الشجاعة من جهازى .. لقد حصلت على هذه العاطفة  
من ( برنات ) شقرايك الكندية .. لقد تحاملت على  
نفسها كي تنتزع دودة طويلة وجدتها في عين غلام ..  
يبدو أنها دودة ( لوالوا ) إن كان الاسم صحيحاً ..  
المهم أننى سجلت هذه اللحظة باعتبارها صورة راقية  
للشجاعة .. »

وتناول الطوق ، فوضعه فوق رأسه ..  
ثم تحرك بمؤشر الفأرة على القوائم حتى وصل لما  
أراد ..



ثم تحرك بمؤشر الفأرة على القوائم حتى وصل لما أراد ..

قال لي باسمًا :

- « يستغرق هذا البث خمس دقائق ، بعدها أعود

لك ! »

وضغط على زر الفأرة ..

أغمض عينيهِ في ( تراس ) عميق ..

ولم يعد أمامي وقت كاف للتظاهر ، وثبتت

كالمجنون ورحت بأناملي وأسناني أحرر المعصم

الأيسر .. كان هذا سهلاً ..

ثم اتحيت للأمام ، ورحت أحاول تحرير الساق

اليمنى .. كان هذا عسيرًا لأن الوغد أحكم ربطها ..

لكني .. لا وقت لدي ..

استدرت لأبدأ تجاربي على الساق اليسرى ،

وتذكرت ما يفعله حيوان ( الولفرينو ) (\*) في ( كندا )

حين يقع في المصيدة .. إنه - ببساطة - يقطع ساقه

الحييسة بأسنانه !

لكني لا أملك مزاجًا لعمل كهذا اليوم ..

الحمد لله ! .. القيد يرتخي ..

---

(\*) المستنذب أو الشره : حيوان شديد الشراسة هو مزيج من

النمس والذئب ..

تعود للساق اليمنى الآن .. تحررى يا حمقاء !  
تحررى ! لماذا لم أكن من الطراز الذى يحمل مبرد  
أظفار معه !  
تحررت ؟ أخيراً ..

★ ★ ★

ووثبت إلى الأرض ، وهرعت إلى الرجل الجالس  
فى غيبوبته أمام الشاشة .. هل أحطم رأسه ؟ هل  
أغادر المعمل طالباً الغوث ؟  
العدالة الشعرية !

العدالة الشعرية .. هذا الرجل قتل صبياً بسيارته ،  
وقتل ( موزنجا ) على سبيل اللهو العلمى .. والآن  
ينوى قتلى لمجرد أننى حشرة ..  
حين أغادر المعمل صارخاً ، سيكون هو جاهزاً بألف  
حجة وألف مبرر .. ولسوف يصدق الناس أننى جننت ..  
وهو .. ؟

هو سيستمر للأبد .. سيقتل آخرين .. سيخالف كل  
قوانين الرجل العادى لأنها لا تنطبق عليه ..  
العدالة الشعرية !

أحياناً لا يكون قتل الصراصير جريمة ..

★ ★ ★

التقطت منديلى من جيب سروالى ، وغلفت به  
يدى ، ثم مدت يدي من فوق كتف الرجل لأتناول  
الفأرة ..

تحركت لأشير إلى ( مكتبة الاحتضار ) ثم ضغطت  
الزرّ ..

وانفتحت أمامي قائمة غير عادية :

١ - الموت خنقاً ببطء .

٢ - الموت بالسرطان .

٣ - موت فى حريق .

٤ - نرف بطفء ..

يا للهول ! تحركت إلى رقم واحد ، وأعدت ضغط

الزرّ .. ظهرت لى العبارة الشهيرة :

Press ( Start ) when ready

منظم جداً هذا الوغد .. لقد جعل البرنامج ذا

واجهة محترمة كبرامج المحترفين المعدة للتسويق ..

ضغطت زرّ البدء Start ، وبدأ البرنامج يعمل ..

★ ★ ★

ظننت شيئاً لن يحدث ..

بعدها أدركت أن وجه الرجل يزرّق .. لقد بدأت

الموجات الكهربائية تزحف إلى نخاعه المستطيل  
لتحاصر مركز التنفس ..

صدره يعلو ويهبط .. فمه ينفّث .. لسانه ..

لم أستطع متابعة المشهد أكثر ..

جريت إلى الفراش فتأكدت من إزالة بصماتي ،  
ومزقت الحبل بأسناني وداريت أطرافه في جيبى ، ثم  
عدت لشاشة الحاسب الآلى فتأكدت من تنظيفها مع  
الفأرة ..

هل نسيت شيئاً ؟

لا .. حتى لو نسيت ؛ فمن الطبيعي أن توجد  
بصماتي في هذا المعمل .

والآن أغادر المكان ..

أرجو ألا تكون قرود ( الماكاك ) قادرة على الكلام ..

نظرت للوراء فوجدت رأسه محنياً على صدره ،

وقد راحت الرغاوى تسيل من شفّتيه ..

لقد ارتكبت جريمة قتل .. لكننى قتلت قاتلاً .. قتلت

وحشاً ..

★ ★ ★

ابتعدت كثيراً عن المعمل ، ولم يكن هناك أحد ..

توجهت إلى غرفتي وأغلقتها على ..  
ونمت كلوح من خشب حتى الصباح ..

★ ★ ★

في مكتب ( بارتلييه ) .  
يرمقني الرجل في تأمل ، ثم يقول وهو لا يخفي  
أفكاره :

- « مات ! لقد حاول أن يجرب مشاعر الاحتضار  
على نفسه .. »

في براءة تساءلت :

- « حقاً ؟ هل كان يملك بعضها في مكتبته ؟ »  
- « بل ووجدنا دليلاً دامغاً على أنه قاتل  
( موزنجا ) .. أسماء الملفات تشي بهذا بصراحة ..  
وهذا يعني تبرئتك .. »

ثم أضاف وهو ينهض ليجوب الغرفة :

- « إن بصماتك في أماكن كثيرة .. الشرطة وجدت  
بصماتك على باب الغرفة .. على الأقفاس .. »  
حقاً ! كيف نسيت هذه الأماكن ؟ ولماذا يقول هذا ؟  
لكنه يضيف :

- « لكن الجميع يعلم أنك من زبائن ( دوبون )

الدائمين .. لقد كان - رحمه الله - مخبولاً .. لكنه  
عبقري ، ولربما كان من الأفضل له أن مات .. «  
ثم نظر في عيني متسائلاً :

- « هل لديك اعتراف معين لي ؟ »

- « لا يا سيدي .. »

- « إذن .. عد لعمك قبل أن أسفك نسفاً .. »

★ ★ ★

تذكر .. إن الأخ الأكبر يراقبك ..

★ ★ ★

كانت هناك نسخة من البرنامج على أسطوانة  
مركبة (CD) ..

وفي ( بلجيكا ) فتح د. ( ريمون سادبيل ) المظروف  
ليجد هذه الأسطوانة .. لقد أرسلها له صديق عمره  
ومنافسه ( دوبون ) من ( الكاميرون ) ..

يقول له في الورقة المطوية حول الأسطوانة :

- « في حالة حدوث شيء لي .. أعرف أنك تملك

نفس جنوني وحماسي وثورتي على أخلاق الرجل  
العادي .. » .

هزّ د. ( ريمون ) رأسه وداعب ربطة عنقه كعادته :



- « المخبول الأصلع يقول كلاماً مريباً .. لكن دعنا  
نر ما تحويه هذه الأسطوانة بحق السماء .. »  
وفي اللحظات التالية سيقراً الملف الذي يشرح  
التجربة ، ولن يصدق حتى يرى ..  
ماذا سيحدث بعدها ؟  
للأسف نحن لا نجيب عن أسئلة كهذه في  
(سافارى ) ..

د. علاء عبد العظيم  
أنجاواتديرى

★ ★ ★

www.dvd4arab.com  
Hany3H  
www.dvd4arab.com

سافاري

مغامراتنا تليق بشبابنا  
لكن يظل غداً وكي يظل طبعياً

روايات  
مصرية  
الحديث

## تجربة مخرمة



د. احمد خالد توفيق

من المفترض ان تقدم سطوراً سريعة عن  
هذه الرواية ها هنا .. لكن هذا سيفسد كل  
شيء .. دعنا نتمرد على هذا التقليد ونقرأ  
الرواية مباشرة دون تقديم ..!

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)  
Hany3H

العدد القادم

أشياء تحدث ليلاً

المؤسسة العربية الحديثة

الطريق السويدي  
ب. 1144 1144 1144 1144  
لغزة - 1144

الكتاب من تصنيف  
ومساحة كتابه في الاسر  
في سائر اللب القوية والفلم